البحث عن ابتسامة

مجموعة قصص

محمد المنصور الشقحاء

مطبوعات نادي الطائف الادبي ـ الطائف

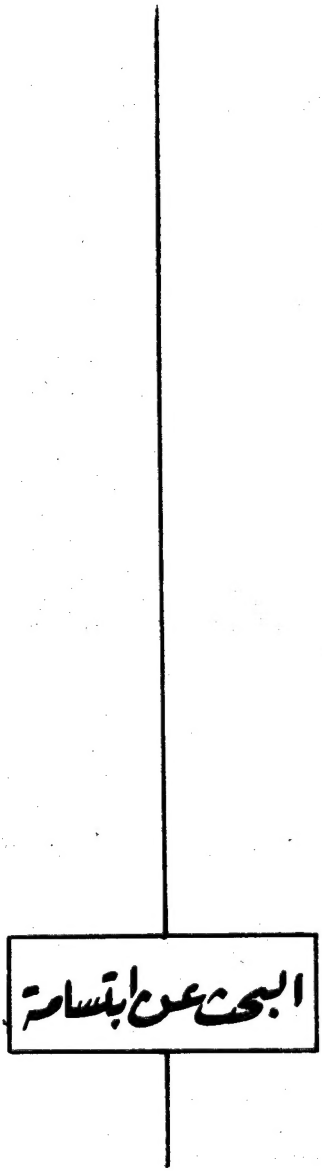
البحث عن ابتسامة

حقوق الطبع محفوظة للنادى

الطبعة الاولى ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م

الغلاف والرسوم الداخلية للفنان : عبد الله ادريس ـ عضو النادى

عزيزى القارىء ٠ ٠

منذ قام نادى الطائف الادبى وضع ضمن اهدافه الجوهرية نشر وطباعة وترجمة وتحقيق الكتب والمخطوطات سواء منها تلك التى تختص بتراث مدينته الحبيبة او تلك التى انتجها أعضاء النادى ولم يستطيعوا قبل قيام النادى نشرها ٠

وهذا الكتاب الذى بين يديك هو لاحد اعضاء النادى من الادباء الشباب الذين يتمتعون برؤية ادبية جديدة وثقافة عصرية جيدة وعبارة حديثة مشرقة وهو الى جانب هذا كله أحد المؤسسين للنادى ومن العاملين فيه بتحمس وفعالية ومثابرة ايمانا منه بفلسفة النادى وحبا منه للادب ولمدينته الطائف ٠

اننا نقدم هذه المجموعة القصصية الاولى - اليك - لسكرتير النادى ، بعد ان اوصت بطباعتها لجنة القصة بالنادى راجين ان تحوز منك الرضا ومؤملين أن تتبعها مجموعات أخرى قريبا ٠

وعلى الله قصد السبيل

الطائف ٢-٢-١٣٩٦ هـ رئيس نادى الطائف الادبى

حمد الزيد

المنحوسة
وتذكرة سفر إلى القدس

وتلفت حولى . أبحث فيهم عن شىء . غير الصورة التى شدت بصرى . من أول خطوة خطوتها داخل المعسكر . وتناثرت أسئلتى على الارصفة المغبرة . تسأل المارة عن حقيقة ماأشاهد كان يطل من عيون الجميع الجوع اللهفة .. الخشية ومسامير الترقب تملأ الأحداق دما ..

أخذت أبحث عنهم كان كل همى أن التقى بأكبر مجموعة من الصبيان أسألهم هل يحبون الحرب وماذا يتمنى كل واحد منهم . سيفا أم بندقية . أم دبابة . أم ورده وقلما وقرطاسا .. ؟

أخذ أحدهم يبكى وهو يستمع كلماتى . سألته العجوز الواقفة ..

ـ لماذا .. ؟

ـ ألا تعلمين .. ان الطائرات كانت هنا .. ولم يبقى من أسرته أحد ..

ـ الطائرات كانت هنا .. ؟

ـ أجل أنت لست صحفية كيف نحن سكان الخيام المحتاجين لقطعة رغيف . نعلم وأنت لا تدرين . رغم وجود الراديو معك وباستطاعتك اقتناء الصحف والمجلات ..

ـ آسفه يا سيدتى ...

ـ وماذا يفيد الاسف . انت آسفة لانك لا تهتمين بالاخرين لكن ماذا يجرى مع الاخرين أولئك الذين لا هم لهم سوى ابادتنا نحن . هربت وحيده طوحنى الهواء أخذ يدفعنى هنا وهناك حتى وصلت الى الجسر .. كنت أتلفت حولى أبحث عن رفيق أو مؤنس للطريق لانى أخشى غدر شيخوختى كان الجميع هناك .. ينتظرون .. يمضغون اللبان .. ويتعارفون رغم ان فوهات البنادق مصوبة الى صدورهم وببسمة الاطفال

المتعلقين بأكتاف آبائهم وأمهاتهم حاولت أن أبكي · ولكن دموعي التي شاركتني الطريق استعصت على هذه المرة لا أدري لمـــاذا ·· ؟ لكن عرفت أخيرا انها الكبرياء ·· كنت أتحدى تلك البنادق والفوهات المصـــوبة · تلك الاحذية القذرة · التي تتحكم في مصير هذا الكوم من البشر الفارين من ديارهم · كلنا نبحث عن خيمة · وسعيد الحظ من كان أحد أفراد أسرته يعمـــل في الكويت أو السعودية أو ليبيا أو حتى في البرازيل ···

وانسحبت العجوز قبل أن أعرف شيئا عن الطفل الباكي وأخذت اتأمل قصتها · مصيرها انها وحيـدة وهذا الطفل وحيـد وتخلصت من المتكومين حولي وأخذت أسير على غير هـــدى أتحـــدث مع نفسي · نسيت الكمرا والفلم والاوراق ·· أصـــبح رأسي مسجلا يسجل كل شيء حتى صراخ الاطفـال ··· حديث السـيدات على الارصـــفة ومن النوافذ المهترئة · والرجال المتكومين أمام الابواب حول راديو ترانزستور · الريح القاسية · البرد القارس ···

كنت أحاول شيئا لم أستطع حتى هذه اللحظة معرفته وفجـــأة قفزت الصورة أمام ناظري · كانت العجوز تتكلم مع الصبي أمام صنبور المـــاء وهي تغسل وجهه وتقبـل جبينه ثم تشده من يده وتواصل طريقها جاذبة الجمع المتكوم حول صنبور الماء ··كان الخرير الناعس يفرض هيبته على الموقف ···

ـ انها منحوسة ···

ـ من ·· ؟

ـ هذه العجوز · ان نحســـها سوف يلاحق الصـــبي كل المجموعة التي حضرت معها ماتوا وبقيت هي ·وذلك الصبي يجب انتزاعه منها قبل أن تأتي الطائرات ···

لا أدري أي شيء هذا ولكنني وجدت هذه القصاصة أمامي فاغرة فاها تمد لي يدها لانتزاعها من على الطريق ·انها صورة من الصور المفروضة على أمتنا والتي يريد العالم تكرارها ويجد العالم فيها شيئا ما لازجاء الوقت · أنتم يا شباب العالم فكاهة (···) ؟! كانوا يتسكعون على الارصـــفة ··

وتحت ظلال المسجد الاقصى ·· وكل ما عليكم هو شراء تذكرة سفر الى القدس الى أورشليم · لمشاهدة بعلبك ·· ومدائن صالح ··

فحضارة الغرب تتسكع هنا ··· والمنائر لا زالت قائمة ممشوقة فى عنان السماء ··· بصقت العجوز بمرارة وهى تجرجر الصغير وراءها ··

ـ انى تعب يا جدتى ·· ؟

قال ذلك وهو يرفع عينين خطف الرعب بريقهما · وهم يقول شيء ما لكنها صدمته بصمتها فلم يقل شيئا وأخذ يجرجر خطاه وراءها ·

كانت الغيوم تتلبد فى السماء بينما هبت نسمة تحمل رائحة الارض الطيبة · كانت خطواتهما واضحة على الارض وابتعدا رويدا رويدا وسرعان ما ابتلعهم المعسكر ···

الأخوات الثلاث

في عصر يوم من أيام الشتاء القارس . وقفت فتاة صغيرة أمام واجهة المكتبة الصغيرة وراحت تتفحص بعينيها الكبيرتين تلك الدفاتر والمؤلفات باهتمام زائد .. كأنها تبحث عن شيء أو تفتش عن غرض . وفجأة انتصبت بقامتها الصغيرة واعتدلت وقد ارتسمت على محياها امارات الفرح والحبور . ثم ولجت الى داخل المكتبة تسأل عن شيء ..

ـ عمي هل باستطاعتي رؤية هذه القصة المعلقة هناك ومد محمد يده وتناول قصة الاخوات الثلاث .. وقدمها للفتاة التي صاحت :

ـ ما أجملها هل هي للبيع ياعمي .. ؟

ـ أجل .. هل أرسلك أحد لشراء هذه القصة .. ؟

ـ كلا انما أشتريها لاهديها لاختي الكبيرة التي لم تعد تستطيع الذهاب معي الى المدرسة ..

ـ بارك الله فيك .. !

وحلت الفتاة عقدة منديلها وأفرغت على المنضدة بضعة قروش .. ثم قالت :

ـ لقد حرمت نفسي من التفسح ثلاثة أيام مع بنات جيراننا ..

وألقى عليها (محمد) نظرة حالمة متألمة ثم أخذ القصة من بين يدي الفتاة وقد أدرك انها لا تعلم ثمن القصة .. وكيف يصارحها بالحقيقة ويعلمها بأن قروشها كلها لا تكفي وان عليها أن تنتظر أيضا تسعة أيام أخرى حتى تجمع ثمن القصة . ولكن نظرة الفتاة الهادئة الوادعة أيقظت كوامن أشجانه وذكرياته وحركت في صدره صورا تنبض بالحياة .. وسألها :

ـ ما اسمك ·· يا صغيرتى ·· ؟

ـ نوره ··

ـ خـذى هديتك واحرصى أن لاتفقـــديها فى الطريق ·· وانطلقت الفتاة خارجة من المكتبة بعد أن ودعت صاحبها بابتسـامة حلوة تشع فرحا وابتهاجا وأتبعها بنظراته حتى اجتازت الشارع العام بينما عصفت فى نفسه أحزان فهيجت كربه يا لها من فتاة حركت فى قلبه جرحا لم يستطع الزمن وأده ···

ولكن ما أن أخذت الفتـاة تعدو قاطعة الطريق العـام · منحرفة فى شـارع جانبى يؤدى الى دار أسرتها حتى داهمتها سـيارة « قلاب » مسرعة ···

منذ ذلك اليوم يتذكر ويستعيد تلك الحادثة التى أودت بوحيـدته حصـه · وما كان الزبائن القليلون الداخلون محله يشغلونه عن نفسـه وللحظات رغم ما كان يبدو عليه من لطف وكياسة واشراق فلا يترك عمله فى المساء حتى تصدمه الحياة بفراغها ومرارتها ···

وتقدم الليل وخف اقبال الزبائن أو هو قد انعدم فتنفس الصعداء وأخذ يعد نفسه لاغلاق المكتبة ·

لكن اذا بأحـدهم ينتصب أمامه شاب فى ميعة الصبا ·· فنظر اليه مستفهما وخيل اليه انه قد ألف هذا الوجه أو رآه من قبل · وقبل أن يتفوه بكلمة مد يده بقصة الاخوات الثلاث ··

ـ هل هذه القصـة قصتك ·· أليس كذلك ·· ؟

ـ أجل ···

ـ اذن أنت تذكر لمن بعتها هذا المساء ·· ؟

ـ بعتها لفتاة صغيرة ·· !

ـ ألم تسرقها منك ·· ؟

ـ لا ···

ـ وكم دفعت ٠٠ ؟

ـ ٠٠٠٠

ـ نحن لم نمنحها شيئا من النقود فكيف حصلت على هذه ٠٠ ؟

ـ ولكنها دفعت كل ما تملك ٠٠

وأمام نظرة الشاب الحائرة المتسائلة شـــعر بشيء من الوجل والخوف فأمسك بتلابيب الشاب وصرخ فيه ٠٠

ـ ماذا حدث ٠٠ ؟

ـ لقد دهمتها سيارة هذا المساء٠٠ وهي تحمل هذه القصة ٠٠ فلم يهتم بها رجال الشرطة ولكن والدتي تساءلت عندما رأتها في يدي عن سر وجودها فأسرعت اليك ٠

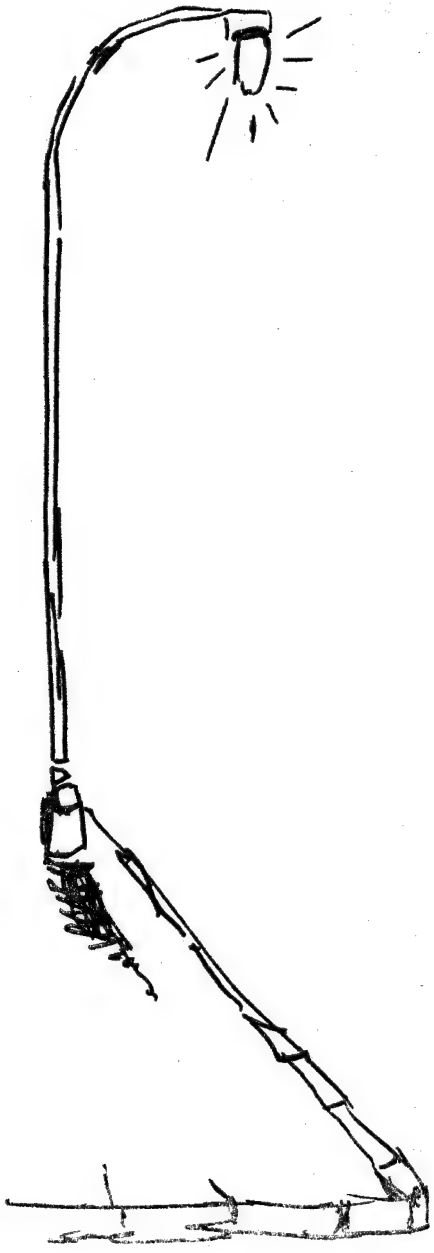

إنه ولد

ـ أجل انه ولد ·· هكذا تدل كل الظواهر ··

بهذه الجملة انهت فاطمة كلامهاوهى تتجادل مع « أبو محمد » الذى أصر على البقاء والتخلف عن العمل حتى يطمئن عليها · بينما انزوت البنات فى ركن قصى من الدار يلعبن فى هدوء وصمت خشية اقلاق راحة والدتهم المتمددة فى الغرفة الداخلية بعد أن انهارت فجأة ···

ـ اذا الوقت حان ·· ؟

ـ لا أدرى ·· ولكن أشعر بألم شديد يمزق أحشائى ···

ـ ما رأيك لو ذهبنا الى المستشفى ·· ؟

ـ لا · أرجوك ···

ـ اذن نحضر الطبيب الى هنا ·· ؟

ـ لا مانع ولكن لم يحن الوقت بعد ···

وخرج « أبو محمد » من الغرفة مما منح « فاطمة » فرصة التأمل فرفعت رأسها الى سطح الغرفة الواطىء وهمهمت ·· انه ولد ·· لقد كان الوحم غريبا وكذلك الحركات التى تصدر من الجنين ·· أجل حتى جارتنا الشابة أكدت ذلك عندماوضعت الملح على رأسى على حين غره · حقا غضبت لحظتها لكن ·· كانت الفرصة أكبر مما اتصور ·· وهى تؤيد أحلامى · آه · ومرت سحابة من الالم على وجهها ولكنها لم تحاول وأد كلمتها الاخيرة انه ولد ··· اما « أبو محمد » فقد خرج لا يلوى على شىء محاولا حصر تفكيره فى المشكلة التى تطبق عليه بكل ثقلها ها هى «فاطمة» تتألم ·· وها هو « سمير » يساومه على ابنته الكبرى « ايمان » وها هو المدير الطيب ينقل من المكتب أشياء كثيرة أخذت تنهال عليه بقسوة وقوة فوق رأس « أبو محمد » · ولكنه يهمهم أخيرا · انه « محمد » لقد أصبح

لدى ولد أخيرا وبعد سبع بنات ..أجل انه « محمد » وليذهب « سمير » مع الشيطان وليطربق المدير الجديدالمكتب بحثا عن موظفه المهمل الذى يتغيب ولم يمر على استلامه العملسوى يومين وعاد « أبو محمد » الى الدار .. وقبل أن يلج الغرفة ذاتالسقفالواطىء صدمته صرخة «فاطمة» المكتومة فوقف قليلا يفكر ...

ـ أبى .. أبى .. انها تريدك ...

ـ من .. ؟ والدتك .. ؟

ـ أجل أرجوك بسرعة ...

ودخل الغرفة المظلمة وأخذ طريقهالى فراش زوجته التى تكومت من شدة الالم فى ركن الغرفة ...

ـ الحقنى ...

ـ ودخلت جارة الغرفة مسرعة .. ولم تلاحظ « أبو محمد » المنتصب فى وسط الغرفة واحتضنت المريضةفى هدوء ...

ـ أروح أجيب طبيب .. ؟

ـ آسفة مساء الخير .. المعذرةالعتب على النظر ...

ـ أهلا وسهلا .. أجيب الطبيب ..

ـ أنتظر .. ما رأيك يا فاطمةنروح المستشفى .. ؟

ـ لا .. لا ..

ـ انه أفضل من هذا المكان ..وهناك تلقين من العناية الشىء الكثير

ولم ترد فاطمة وبهتت الجارة منإصرار المريضة وتلفتت حولها تريد قول كلمة « لابى محمد » الذى اختفى.. ودخل الدكتور مطأطىء الرأس وعاين فاطمة وهز رأسه وأخرج منحقيبته بعض المعدات والحقن ..

ـ وما رأيك تروحى المستشفى .. ؟

ومرت موجة من الالم لم تفهم معهاما قاله الدكتور الذى سارع الى حقنها بابرة مهدئة وعاد الهدوء الىالوجه المتقلص . وشعر الدكتور

بارتياح ســـاعده على معاينة المريضةوخرج من الغرفة وهو يقول :

ـ بعد لم يحن موعد الوضع ..

ـ ما العمل .. ؟

ـ بعد ست ساعات تعال لاخذىمن العيادة ...

وغادر الطبيب الدار بعد أن نقده« أبو محمد » أتعابه مضاعفة . وحل الهدوء بعض الشيء على الدار . ومرت لحظات وجد فيها فرصـــــة ليعود الى أفكاره .. متأملا حال زوجته والالم الذى تعيشـــه انها ليس المرة الاولى التى تعيش فيه مثل هذه المتاعب ..ففى كل حالة وضع تقاسى ... لكن هنا فرق . لقد انتهت التسعة أشهروها هو الشهر العاشر ينتهى والالم يزيد والدلائل تقول انه ... وانطلقت صرخة من الغرفة الداخلية فلم يكمل بقية خواطره ... وهرول مسرعا ...

ـ الجنين . لا يتحرك ..

ـ و .. ماذا .. ؟

وخرج مهرولا يبحث عن الطبيب.. ووجده ولكنه اعتذر عن الحضور مدعيـــا ان الوقت لم يحن وان لديه بعض الاعمال . وأمام اصرار الطبيب أخذ أبو محمد يبحث فى العمارة التى يسكنها الاطباء عن آخر متخصص فى الولادة .. ووجد طبيبـــة المستشفى العام فقرع باب عيادتها ...

ـ أرجوك اسعفينا .. !

ـ أمرك .. !

ـ ان زوجتى على وشك الوضع .. !

وأخذها الى الدار رغم انها كانت تتأهب للذهاب الى المستشفى حيث حانت نوبتها فى العمـل . وعاينت المريضـــــــة وخرجت من الغرفة صامتة ...

ـ هل فى الامـــكان نقلها الى المستشفى .. ؟

ـ انها لا ترغب .. وتصر على ذلك ...

وخرجت من الدار وأبو محمد وراءها وأخذ سيارة أجرة الى المستشفى وهناك أخذت بعض الالات التى تساعدها على اجراء عملية سريعة للولادة .. وطلبت من الممرضـــة المناوبة فى المستشفى أيضا مرافقتها ...

وقف « أبو محمد » والبنات أمام الباب الخارجى مع أحد الجيران بينما دخلت الطبيبة والممرضة الى الدار وموقت استطاع فيه اقناع جاره بأن ما ذهب اليه خطأ رغم انشغال باله بمايدور فى الداخـــل . وأطلت ابنته الكبيرة من فتحة بالباب ...

ـ أبى .. احضر سيارة .. الدكتورة تبغى تروح ...

ولم يقل شيئا وسارعت احدى البنات الصغيرات الى الموقف لاحضار سيارة أجرة ووقفت الطبيبة ومساعدتها بالباب .. يتأهبن للرحيل .. وتقدم منهن ...

ـ مبروك الحمد لله على السلامة ...

ـ ولكنى لم أسمع صرخة الوليد.. ؟

ـ البقية فى حيـــاتك لقد نزل الولد ميتا ...

ـ ولد .. ؟ و ... ميت ؟!

وأسرع الى الداخل ولكن الصمت صدمه فعاد أدراجه . ووجد الطبيبة والممرضة داخل سيارة الاجرة بانتظاره ...

(ثـــورة)

ظلت برهة مترددة وهى تسمع صوت والدتها من الداخل تحـــادث جدتها العجوز المتمـــددة على سريرهاوالتى أطلقت عـــدة صرخات مملوءة بالشتائم على غنم الجيران التى ما أنلمحت البـــاب الخارجى مفتوحا حتى تراكضن فى جلبة ليرتعن فى الداروالبحث عن شىء يؤكل ·· ثم وضعت يدها على رأسها وخطت خطوات حذرةوعيناها شبه مغمضتين ···

ـ أمى · أمى · رأسى يوجعنىما أقدر أروح المدرسة اليوم ·

طفلة لم تتعد ربيعها الحادى عشرذات وجه ملائكى أبيض مستدير أحد أسنان فكها العلوى بارز يثير خجلهاعندما تهم بالابتسام تغطى فمها بيدها ـ مما جعل أفراد الاسرة ينكتون عليهاوقد أخذوا من لثغتها اداة للمزح ·· ! وهم يحرجونها فى شىء من الطيبة :

ـ الدفتر هذا لمين ·· ؟

ـ حج (حق) حنان ··

ـ أبوك فين ·· ؟

ـ فى الدشان (الدكان) ··لكن والدتها لم تستمع لقولها ·· اذ صرخت فيها ··

ـ انتى لسه هنا ·· ؟ واخوانك ·· ؟

ـ راحوا ···

ـ يالله الحقيهم ···

ـ لكن ···

ـ اليوم السبت وأول الاسبوع ···

وتعدو لتلحق باخواتهـــا اللائىشكلن مجموعة كبيرة بنـــات الجيران وهى تفكر فى ماذا سوف تلاقى من« الابلة » التى طالبتهـــا بأن تغير

كراريسها والمريول البنى بآخر أزرق · لكن لم تبلغ والدتها بذلك بعد أن سمعت تهديد والدها الذى ملأ الطلبات بأن يمنعهم من الذهاب الى المدرسة هى وشقيقاتها الثلاث · ولحقت برفيقاتها وهى تنسى كل شىء · لتحدث بنت الجيران « فوزية » عنما أحضرت لفترة الفسحة الكبيرة من أكل وأخذ تقلب أوراق حقيبتها لقد نسيت أن تحضر وصلة التميس (الخبز) معها بينما أحضرت « فوزية » بعض قطع الجبن البلدى وحلاوة الطحينية المتبقية من عشاء الضيوف · وأخرجت نوره القروش الاربعة التى تتزود بها كل صباح من والدها وعند رأس الشارع الذى تنتصب المدرسة فى نهايته كان دخان فرن «التميس» يعانق السماء ·

مدت يدها لاخذ أحد الاقراص المرتبة بعناية فى زاوية الفرن بسرعة حتى لا تستقبلها المديرة عند الباب المغلق فليكون صيرها بعض الشوطات بالحيزرانة التى تبرع بها البواب العجوز (حسب ما تظن !!) بينما هو اشتراها لابنه الصغير حتى يقال اتبع الطريقة الحديثة فى تربية أولاده تربية المدارس ·· !؟

دخلت الفصل خلسة كأنها تحاذر أن يمسك بها أحد بينما المدرسة منهمكة عند باب الفصل تحادث زميلة وهى ممسكة بالدفاتر المصححة بطريقة تجعل البنات يحترمنها ويقلدونها فى نفس الوقت ·· واقتنعت أخيرا ·· ودخلت الفصل وانطلقت همسة مخنوقة :

ـ احترام ·· !

ووقفت طالبات الصف فى حركة منظمة ومر الدرس فى هدوء لا يعكره سوى ذلك الألم الداخلى الذى بدأت مطارقه تسلب نوره انصاتها من جراء تفكيرها لسماع كلمات « الابلة » وشرحها بينما القدر يحيك خطوط النهاية · والباب الكبير موارب والسيارات تعج بالطالبات البريئات وقد انطلقن عائدات الى المنازل وفى الجهة الجنوبية من المدرسة · كان منحنى تنزل منه السيارات الى الشارع العام الذى يشق المدينة اذ أن السيارات تأتى من الناحية الغربية للمدرسة فرارا من الزحمة لتعبر المنحنى الى الناحية الشرقية حيث الشارع العام أو الانحراف قليلا ثم تسير عبر طريق فرعى على جانبه فيلا صغيرة كانت فيما سبق مستوصفا صحيا ·

وقفت «نورة» عند ركن الفيلا مع احدى اخواتها يرقبن الباقيات وهنا انطلقت سيارة مجنونة لتطوى تحت عجلاتها احدى بنات المدرسة وعلا صراخ البراعم الفزعات وانحنت واحدة تبكى ...

ـ نوره ... نوره ...

وأخذ النفس الذاوى يهز الصدر الصغير فى رعشات وجله وزادها خفقان منبه سيارة الاسعاف التى تأخرت بعض الوقت لحمل المسكينة .. التى ما أن أغلق الباب عليها حتى لفظت أنفاسها ...

الهندية

٤ شعبان

وجدت اليوم دافعا قويا لان أستعيد الذكرى التى نسيتها وأنا أطالع الدموع فى مقلتى جارتنا الهندية المتجهة الى الغرب تجر خلفها أطفالها الثلاثة بعد أن قام زوجها بضربها ..

لا أدرى السبب لكن عندما قالت شقيقاتى الصغيرات ان جارتنا المسكينة تبكى فى الشارع والاولاد يلتفون حولها .. سألت نفسى .. لماذا ؟

ولكن قبل النهاية أخذت أفكر ولكن كيف ترحل ومن أين تجد قوتا لاطفالها بل الى أين تأوى والشتاء يطرق الابواب فى الحاح ؟ كان ذلك فى عام ١٣٧٩ هجرية بالتقريب .. وكنت لا أقيم ما حولى لولا حكايات جدتى التى افتقدها اليوم .

٢٥ جمادى ٧٩ هـ

طرقت بابنا هندية طويلة القامة تحمل على رأسها صندوقا مليئا بزجاجات العطور تبحث عن مشترى واستقبلتها جدتى ذلك الصباح بنفس مفتوحة وتطمئن الهندية وتأخذ فى سرد حكايتها .. لقد وصلت الطائف مع بعض أقربائها بعد رحيل من الهند دام أكثر من سنة تضاءل اثناءه حجم الجماعة الى أقل من النصف .

وكان ذلك بقصد الحج وزيارة المدينة ولكن كل شىء تغير بعد الوصول ماتت والدتها ووجدت فى أسرة تشتغل عندها ما يحثها على البقاء وتفرقت الجماعة ولم تبق غير أسرة صغيرة مكونة من عجوز وابنها الذى أخذ يجمع الاخشاب لصنع الصناديق والطاولات الصغيرة وبيعها بمبالغ زهيدة . ولكن حدث شىء لم يكن تتوقعه .. وطردتها الاسرة التى تعمل عندها لتعود الى العجوز التى تعرفها منذ كانت هناك مترقبة شيئا عجيبا ؟ مكتفية بالتقاط قطع القماش القديمة من الشوارع وما يجود به الجيران على العجوز وعليها من ثياب بالية ممزقة لتصنع منها أكياس صغيرة لبيعها الى أصحاب الدكاكين ...

٨ شـــوال

صدرت الموافقة المرتقبة لنرحل الى الرياض لقد انتقل عمل والدى الى هناك بعد أن رفع الى درجة مفتش ٠٠ليعمـــــل بالوزارة وهناك اندمجنا بمجتمعنا الجديد مخلفين ورائنا جدتى التى رفضت مشاركتنا السفر راغبة فى البقاء مع ابنتها ـ عمتى ـ التى كانت على وشك الوضع ٠٠٠

أول محرم

الاخبار تقول : هناك أمطار جدتى تبعث لنا بتحياتها ٠ الطفل يموت بعد أن تعرض لهواء شديد ويذكرنى هذا بشىء وهو انى عندما أكون بقرب نافذة سيارتنا المنطلقة بأقصى سرعتها أشعر انى بحاجة الى من يســـــعفنى وان الاختناق يشل جسمى ٠٠٠

٨ ربيع ثانى ٨٦

والدة أبى تنتقل الى رحمـة اللهوها نحن نشد الرحال الى الطائف ٠٠ كل شىء يسير حسب ترتيبه وخيطمن الذكريات يمر بخـــــاطرى عن صاحباتى ٠٠ عن جيراننا ٠٠ عن المنال الصغيرة وجدتى لا تمـل التحدث تروى لى ولاخوتى ذكريات شبابها فىالقرية هناك فوق الجبل مع الاغنام والسماء الحانية التى تمد يدها لاحتضان أبناء رفيقتها الازلية ـ الارض ـ فى مسيرة دائبة لا تعرف الملل ولا تخشىالنهاية المرتقبة ٠٠٠

٢٥ ربيع الثانى

أخذ الاضـــطراب يلفنا علينا أن نعود بعد أن انتهت فترة الحزن والعزاء الى الرياض وعلى أن أجـــد وأخواتىلاعوض ما فاتنا من دروس والدتى تبـــكى ولا أدرى لماذا لقد عاودتهاذكريات سحيقة مرت بها فى بداية حياتها الزوجية وجدتى تلفها بالحنانوالعناية النادرين واللذين فقدتهما منذ الطفولة حيث توفيت والدتها وهى بعدلم تكمل الاربعين ٠٠٠

٢٥ رمضـان ٨٨

وصل والدى الى التقاعد منذ أيامومراجعاته لم تفد رغم استســـــلام والدتى ومحاولتها فى اقنـاع والدىبأن مهمته انتهت وعليه أن يفسـح المجـــال أمام الاخرين وذوى الخبرةالجديدة حتى لا يكون هناك تأخير فى

المسيرة الكبرى الى الافضل ؛ ويرضى ونقرر العودة الى الطائف وها نحن نعود ما عدا أخى الذى يدرس فى الجامعة والذى قرر مشاركة بعض زملائه للقيام برحلة الى المنطقة الشرقية وبعض امارات الخليج العربى للتزود بالمعرفة والترفيه · نشاهد أثاث دارنا عن ناظرنا فى رحلة نصل نحن قبل نهايتها لنستقبله ولنعيد توزيعه فى غرف منزلنا القديم ·

٧ محرم ٨٩

الصيف يقرع الابواب والاحاديث تدور حول المصطافين وأشياء أخرى وأنا أستعيد أشياء كثيرة من ذكرياتى وان نسيت الكثير لكن هناك وهنا أقابل وجوها مألوفة لا أدرى عن أصحابها شيئا انما أجد فى نفسى دافع يقول انى كنت أعرف أصحاب هذه الملامح وانى قد عشت لحظات أتفرس فيها وتتفرس بى وتضحك ·· !

٥ صفر

وجدتها من بين الوجوه التى حولى · طويلة نحيلة تحمل صندوق العطور فوق رأسها لا صدر لها تمشى معتدلة القامة · ولكن وراءها ثلاثة أطفال ·· انها الهندية ـ صاحبة جدتى ـ ولم تعرفنى ولكنها تعرف عمتى حيث ان منزلها لا يبعد كثيرا عن حينا · تدور باحثة عن مشتر ···

٣٠ ربيع الاول

عرفت حكاية غريبة اليوم ولكن لا أدرى ما صحتها ؟ هناك جار منزله يقابل منزلنا ومنذ أن وجدت وأنا أعرف أن لا شغل عنده ولا عمل سوى البحث عن مقاول تعهد ببناء منزل له ولكن عندما انهوا بعض مراحل الهدم اختلفوا وهنا فر المقاول ومنذ ذلك ذلك العهد الذى أجهله وهو يبحث حتى آخر الليل يقف فى الزوايا وعند الابواب ينتصب ·· أتت الشرطة لاخذه بعد أن حاول ابتزاز جار له يكشف سيرة زوجته السيئة ··

أول رجب

الهندية تذكرنى ·· تشدنى الى الماضى لابحث فى أحاديث من حولى عن شىء عنها ولكن لا شىء لقد تزوجت ابن العجوز ولكن ابنتها الكبيرة

مجهولة الاب رغم معرفة الجميع بأن زوجها يدعى بنوتها ولكنها لا تهتم بشيء سوى التطلع والتفرس فى وجهى لعلها تبحث عن ماضيها العتيد وذكريات شبابها ...

١٥ رجب

حضر أخى الكبير من الرياض .. ليبقى عندنا أياما ثم يعود ووالدتى تحاول اقناعه بالزواج لأنها تخشى عليه وهو وحيد من قرناء السوء ... ولكن هناك شيئا ضعيفا وجدته فى حركاته عندما يشاهد الهندية وبحثت عن السبب لكن ذاكرتى لم تسعفنى بشيء .. ووجدته ذات مساء يتطلع فى شيء من الخوف الى الهندية التى انتصبت أمامه وفى يدها ابنتها الكبرى ولم أسمع سوى انى لا أعرفك ولا أعرفك . ولكنها تصر وتجادله بصمت ثم تتفوه انها ابنتك أنت السبب فى وجودها وعندما اقترب وجدها فرصة ليهرب .. ليرحل فى مساء ذلك اليوم ...

١٧ رجب

وضحت الحقيقة عرفت اليوم من حديث دار خلسة بين عمتى والهندية بأن أخى هو الذى أغواها وهى بعد فتاة تعمل لدى أحد معارف الاسرة . كانت فى المطبخ تعد بعض متطلبات الوليمة وفجأة انتصب أمامها . وبعدها لقيته كثيرا حتى انه أخذ يزورها فى غفلة من الجميع .

٢ شعبان

الاثنين .. بنات الهندية الثلاث يحضرن كل مساء للتفرج على التلفزيون عندنا .. وأتفرس فى البنت الكبيرة .. اسألها عن اسمها وعن أمها وأبيها وأنا أبحث فى تقاسيم وجهها عن شيء يشبه أخى ولكنى لا أخرج بنتيجة .. فهناك عوامل شتى تتصارع فى داخلى وترسم صورا قاتمة لا أدرى ما لونها عن الحياة والفقر وذلك السر الذى يقف أمام الجميع وتتحطم عليه القيم الانسانية والمثل التى لا توجد لها صورة حقيقية عند الكثيرين من ذوى المبادىء المختلفة ... وأشياء كثيرة نرسمها ونجهل الى أين تصل بنا ... ولكن كيف تورط أخى معها ؟ هذا مالا أعرفه .

٣ شـــعبان

وصلت الى شيء من الحقيقة بعد أنضج رأسى بالافكار والتناقضـــات . كانت تحمل كل مســـاء الطعام ..للعجوز وابنها الشاب ...

كانت تنام بعض الليالى أثناء معاودة المرض لها .. ومن هنا كانت البداية .. لكنه تغير عليها ذات مساءعندما لم ترضخ لطلباته بأن تبحث عن ما هو أثمن من الطعام لدى أسيادهاووجدت فى أخى طفولة وســـذاجة تحتاج لشيء . وكانت تريد منه أنيقدم لها ثمنا لما تقـــدمه ولو كان مسروقا .. لا تشعر بالذنب ولا تجدفى ذلك العناء الكثير أو الخوف الذى قد يفضـحها ذات مساء .. ولتقنعصديقها بالزواج بعد أن أخذت معالم الجريمة تتكون فى أحشائها ...

★ ● ★

أوراق...

من مذكرات فتاة فلسطينية

- ١ -

وانصت . نعم اليوم اقترب والجموع تعد العدة فالدعوة مفتوحة للجميع كل شيء ممهد . وخط طويل يسيطر على الجميع المناكب تلتقى والمقل شارقة بالدموع . بالامل بالنهاية السعيدة .. كل ذلك منذ عام ...

وها هو يمر بنا عام ...

والجوع ينهش صدرى يمزق أحشائى بعد أن أعيانى الانتظار بعد أن وجدت دارنا تبتعد تسبق الشمس الغاربة يبتلعها مد البحر العاتى . فاذا بى أعود الى خيمتى وقد لفت انتباهى مجموعة من صبان المخيم يتهامسون ثم ينطلق كل فى طريق وتبتلعهم الزوايا . وتمر دقائق واذا بحركة غريبة ومجموعة من الرجال يقتربون يحملون شيئا . كان ابن جارتنا العمياء وقد فارقته الحياة و بسمة لونها الالم فوق فمه الصغير ..

خط طويل يسيطر على الجميع . خط من الدم يقبل النرى يشير الى دارنا القديمة الى قريتنا الخربة فى أرضنا المسلوبة ...

- ٢ -

ماذا يعنى كل هذا ؟ الطبل تقرع تصم الآذان تكون شلالا من الضجيج وأنا ما زلت واقفة أمام باب خيمتنا استجدى المارة أخى الصغير . (ضاع) كان هنا فى الصباح يلعب بدميته القديمة . يصرخ فى بائع البرتقال الفتى ...

ـ لماذا لا تنضم الى الفدائيين ..؟

لماذا .. لا تترك عربتك المتداعية هذه جانبا .. ؟ وها هو يطالعنى .. بائع البرتقال .

ـ أخى ٠٠ هل رأيت أخى ٠٠ ؟

وألقى الفراغ فى عينيه ٠٠ لم القى غير الصمت الرهيب ٠ لقد عاد اخر الليل طفلا محمولا أخذه الرجال الى البعيد ٠٠ الى سفح الجبل الذى يحجب عنا الرياح ينتظم فى سلك الشهداء من رجال الفداء ٠

كان صبحى تخطى الاسلاك الشائكة فاذا بقميصه يعرقل خطاه وتخترق صدره رصاصة الغدر والخسة والنذالة ٠٠ والاجرام ٠

ـ ٣ ـ

انه اليوم الالف بل المليون ٠٠ **وأنه أشعر بساقى لا تطيقان حملى** ٠ امى الربو يكتم أنفاسها ٠٠ أبى كالمجنون فى ركن خيمتنا يهمهم بكلمات لا تفهم ٠٠ (سماح) تبتسم للجميع انها طفلة لا تفهم ٠ وبطاقة المؤن الصفراء يأكل أطرافها القدم ٠٠ وهم يعصرنى ان فى احشائى جنينا ٠

ترى ٠٠؟ أيشاهد اباه ٠٠؟ ماذا أقول له عندما يكبر ؟ عندما يقول أين أبى ٠٠

هل أقول استشهد على طريق العودة ؟ أم أقول له ذهب ولم يعد ٠ ولكن هناك سؤالا قد يواجهنى به ٠؟

أهو ذهب لحده وعندما أهز رأسى بلا ايجاب أيصدق ان أباه ذهب لوحده ليمهد طريق العودة ٠٠ ليصرخ فى اليهود هذه أرضى أخرجوا منها أترثونى ٠٠؟ أتأخذون حق ابنى ٠٠؟ غريبة كل شىء أم تراه سوف يجف حلقه ويكتم أنفاسه انتظارى الطويل فى طابور الدقيق المسوس ٠٠؟

ـ ٤ ـ

جارتنا (سلوى) لم تعد مساء أمس من صنبور المياه أمها تبكى بحرقة وكادت تزيد الامنا اذ همت باحراق الخيمة ولكنها لحقت بها وأمسكت بيدها المرتعشة واغتصبت علبة الثقاب من بين انينها ٠ لا حق لى فى استعمال قوتى وشبابى على امرأة شرب الدهر دموعها أكل جسمها حتى بدت الغصون ترسم ظلم القدر ٠٠

مر يوم وسلوى ما تزال مفقودة وأنا أشعر بوحدة ٠٠ أبى أخذ هذيانه

يزداد بل فقد احساسه فكان ينام ٠وسماح تتوسد صدره ٠٠ ماذا بقى لى غير أن الغثيـان يدفعنى الى القيء واحشائى تسبقنى فى كل ناحية ٠٠ الليل ساعاته طويلة ٠٠ اه ما هذاالالم ٠٠؟

ـ ٥

عدت الى رشدى طالعتنى مقلتى أبى الدامعتين وبسمة واهيـة ترف على حاجبيه اشعر بشىء غريب حـولى ٠واذا بالصراخ يصدمنى لقـد وضعت البارحة ٠٠ ولكن هذا الظل الطويل الذى ينتصب على باب خيمتنـا انى أعرفه ٠ الفرحة تأخذ بمجـامعى ٠٠ الدموع تسبقنى وتقدم نحوى عاقدا زنديه على صدره يحمل لفافة بيضاء كان زوجى (منصور) وبريق الفرح يطل من مقلتيه ٠٠ وتلاقت العيـون فى عناق طويل ٠ قرب طفلى منى ٠٠

ـ قبلية ٠٠

انه عوده نعم سوف يكمل طريق العودة ان استشهدت اعتنى به اعديه لليوم المرتقب ٠٠ ازرعى فى صدره خنجرا يصرع الاعداء القادمين من وراء البحار النتنة ٠٠

ـ ٦

اليوم معركة من الصبـاح ٠الحشود على الحدود على الحـدود ، الطائرات تلقى بمنشورات تدعـو المواطنين الى الهدوء والتمسك بالسكينة لكن ما هى السكينة (وأى شىء بقى لنا بعد أن فقدنا بياراتنـا ٠٠ دارنا المعلقة فوق الجبل الاشم ٠٠ طفلى (عوده) أخذ يبتسم لى يبحث بـين الوجوه عنى ٠ لقد غابت عيناى وبرزت نواجذى لاخبر عن منصور الطلقـات تحملها الرياح من وراء الجبل ٠ غاره ٠٠ غاره ٠٠ السماء سـوداء ٠٠ الطائرات تلقى بالحمم ٠٠

رحماك يا رب اننى بائسة الهى لاشىء بيدى وأمسك بيد سماح ٠ أحمل عوده ٠٠ أجرى وراء أبى الاعمى لقدسلب البكاء من عينيه النظـر ٠٠ الصراخ يرتفع الهى اين أبى ٠

ونعود نبحث بين الرماد عن البقايا ٠٠ وينطلق المذياع المجنون ٠٠ لقد

قام الجيش الباسل بحملة تأديبيـــة على أوكار المخـربين وتم القبض على مجموعة يرأسها الموعو محمود الشيخ عرب ·· يا للمجرمـين ·· انه أبى الاعمى المتداعى ·· انه جد (عوده)·

ـ ٧

الجوع ينهشنى · لم يبق فى مقلتى دمعة وانا أودع ـ عوده ـ عند باب ملجأ الايتام سوف تنسـينى الايام والهموم ·· والمتاعب التفكير فيه ·· غدا ترحل المجموعة الاولى من النساء الى الشمال الى مخيم جديد نصبتـه الامم مؤخرا بالتعـاون مع الصليب الاحمر · والحكومة رشفت اخر جرعة من ماء النبع الذى يوازى مخيمنـا المحترق · انى أشاهد ظـلا كبيرا يقترب · الظلال تلف الجميع المطـرينهمر · الهى ما كل هـذا ؟ أطلقت صفارة الانذار ·· أظن خطأ ما سمعنا ليس سوى لغم أرضى أعده الفدائيون ·· انه بقايا لغم من عام ٤٧ لا من ألغام ٦٧ الجادة الحاقدة التى تزرع الموت فى كل زاوية ارتجت له الديار الفلسطينية · سمع صداه المغـرب العربى ، ثارت لاجله أمواج الخليج العربى ··

وشعرت بالجـوع ·· وانا اتلفح بثوبى البالى لاسير وحيدة فى الطريق الطويل وقطرات من الـدم تدلنى طريقى ·· انها الزهرات التى خلفتها قطرات دم أخى ذات مساء ··

ـ ٨

الحقد ·· الحقد يزرع صـدرى شوكا · يدفعنى الى التقلب كل مساء فى فراشى البالى لقد كانت رحلتنـا طويلة · وكان حظى ان تضمنى خيمة عجوز وابنها المريض الذى يجهش كل لحظة بالبكاء لفقد المقدرة على مشاركة جهادهم المقدس فى سبيل الوطن ··

كان يبكى وأنا أنصت لبكائه المر · ثم أواسيه وأنا ازرع الامل فى صدره لكن يده تبدو كأنها وحش اسـود معروقة متصلبة الاصابع ·· المحهـا كل دقيقة فى منامى واتخيل منصورو هو يبكى حاله · وفى لحظة غفـو سرقنى شعورى شعرت باختنـاق · شعرت بأننى اقترب من هاويـة والهاوية تبتلعنى على الرغم من مقاومتى وأصرخ ·· وأصرخ ـ واذا بيـد حنونة تهزنى ··

ـ ماذا جرى يا بنتى ..؟

وتملكنى تفكير عميق ماذا يعنى هذا . لعله خير . وكان البصيص الاخير . كان البيان السابع عشر يرثى منصور .. ويوصف الموقف البطولى الذى عاشه أبو عوده وهو يحمى ظهر رفاقه المنسحبين ويده على زناد رشاشه يحصد العدو ولكن طائرات الهيليوكوبتر لم تمهله . القت بحممها فوقه فانكفأ على وجهه يقبل الثرى الحبيب يسقى عرق البرتقال .. بدم عربى جديد أستشهد ..

ـ ٩ ـ

ماذا الحقد يلف خطاى .. يستأثر بلحظاتى . والدموع تضيع معالم طريقى . لم يبق لى أحد . العجوز تدعونى بابنتها تسألنى لماذا تخليت عن عوده . تسألنى عن طريقه حتى تحضره الى خيمتنا .. وأنا أبكى رسمت لها الطريق .

ـ اتتركين ابنك من أجل ابنى ..؟

وتغلق فمى بيدها بينما تشير بيدها الثانية على ابنها وفهمت مرادها وأنا أقبل رأسها أدعو لها بالسلامة . مرت لحظات رهيبة وأنا اقف على باب الخيمة أسأل السماء عن سبب الوجوم الذى يسربلنى ، يرسم الحيرة فى حركاتى وتطلعى بلهفة لنهاية كل صرخة تصدر من المخيم فهذه أم تبكى ابنها الذى مات فجأة وهذه ثاكلة تندب زوجها .. بينما مذياع شاذ يحاول أن يسيطر على الجو الحزين بأغنية راقصة . تقطر بالضياع والحب والهيام الماجن .. كى تكمل بقية نشرات الاخبار فتؤبن الفدائيين المجندين فوق الربى المكشوفه .. واذا بى أبكى وأجد أن همومى تنقشع وأنا أسمع تنهيدة مكلومة تصدر من صدر مريض .. وهو يحاول النهوض .. لكنه يعود للبكاء وتلتقى دموعنا .

★ ● ★

المرسوم

أنت قوى ·· أنت هكذا كل يوم حتى فى الايام التى لم أكن أعرفك فيها · كنت اسمع انك قوى تتحمل كل شىء ·· تتحدى الكلمات وتخرج لنفسك ما تريد ولو بالعبط والادعاء · وأطرقت رأسها قليلا ثم مدت يدها لفنجان الشاى الذى لم يبق فيه سوى قطرات رشفتها · وأعادته الى مكانه ومدت يدها الى أبريق الشاى وهزته فاذا هو فارغ لم يعد به شىء · ورمقت محمد بنظرة فاحصة ثم جمعت الفناجين المتناثرة فى الصحن ونهضت من مكانهـــا ··

ـ فين الشاى ··؟

ـ خلص ··

ـ لماذا ··؟

ـ شربت البراد كله ؟ ·· ما كفاك أصلح غيره ··

لم يرد فوقفت قليـــلا تتأمله ثم دخلت تغسل الاطباق · منـذ كتب الله عليها سكنى هذه الدار القريبـة من مسكن الاهل بعد أن كاد الخصام يؤدى الى ما لا تحمد عقباه لاصرارها على عدم السكنى مع والدته واخوانه · وهم على هذا الحال من عدم المبـــالاة والاهمال ثلاث سنوات لم يتغير فى الموضوع شىء عدا تلك الرحلة التى قضى بها اربعة أشـــهر فى الرياض للدراسة رجعت فى اثنائهـــا الى دار أهلها ومن ثم الالتحاق بمدرسة محـو الامية التى افتتحت حديثا فى الطائف للامهات ·

كان يسرح كثيرا رغم ادعائه أنهـا كثيرة السرحان · فمنذ أيام بعـــد غيبوبة طويلة نهض فجـــأة وارتدى ثياب الخـروج دون أن ينبس بشىء واتجه الى جهاز التلفزيون وأغلقـــه ناسيا الاخرين · انتهت سـلوى من من غسل الاطباق وكنس المطبخ وعادت الى مقعدها قبالة محمد ··

ـ اين البنت ·· ؟

ـ عند أمى

ـ كنت أظنها نائمة ..

ـ معلوم لهفت البراد .. وانتمانت دارى كيف تدرى عن بنتك التى لا تسأل عنها . واللى ما ندرى الانعن مصيرها ..

ـ ما هى عند امك ..؟

ـ أجل كذا . لكن البنات اذا قفلتفترة المغرب يجيبوها .

ـ عارف .. عار ف

انتهى الحوار وعاد الى الاوراق التىبين يديه ليقرأها وأخذت سـلوى تتابع التليفزيون وان كانت تختلسالنظرات بين الفينة والاخرى لمتابعة ما يقرأه زوجها الذى منـذ عاد منالمدرسة مع المغرب وهو جالس لايرفع عينيـه عن ما بين يديه من أوراق .وشعرت بالضيق والقلق واحسـت أنها بعيدة عنه كثيرا فنهضـت منمقعدها وأخـذت تبحث لنفسها عن شغلة تنتشلها من أفكارها وأطلت منالباب الخارجى ثم أخذت تدور فى البيت ومرت من أمامه مرة أخرى وخفضت من صـوت التلفزيون وأحضرت مجلة وعادت الى معقدهـا تقلبها ..

ـ لماذا أغلقت التليفزيون .

ـ حتى لا يضايقك صوته ..

ـ ولكن .. هل حضرت البنت ؟

ـ بعد .

ـ ما هذه ..؟

ـ مجلة قديمة أشغل بها نفسى مادام انت مشغول .

ـ لماذا فتحت الباب ..؟

ـ شعرت بشىء من القلق فاطليت.عسى البنت جات .

ـ بس ..

ورمقته بنظرة ثاقبة ارتعشتعندماارتفع صوت سيارة الاسعاف مجلجلا

انه قريب وأخذ يقـــترب وارتفعت أصـــوات أخـــرى وامتلأ الشارع بالمتفرجين وبسيارات الاســـعاف والاطفاء والشرطة ولم يتحرك محمـد من مقعده وصرخت سلوى ـ ما هذا؟ ـ ولم تحركه الصرخة . وقرع البـاب بشكل عنيف ووقفت وجـلة والقرع يشتد فنهض محمد من مكانه متأففـا لفتح الباب واطلت الصغيرة منـــال ضاحكة ومعها البنات واجفات .

ـ انبوبة غاز انفجرت .. انهـــا حريقة ..

ـ فير ..

وخرج الى الشارع واندس بـــين المتفرجين يتلفت هنا وهناك محـاولا معرفة الامر وتحركت سيارات الاسعاف والاطفاء وأخذ رجال الشرطة يفسحون الطريق لها وأخـــذ الازدحام يخف فقرر العودة الى البيت ولكن شـــده أحدهم :

ـ ماذا ..؟

ـ وصلنا البيت ..

أوصل البنات البيت وعاد الى الدار ليجد أن ابنته قد اوت الى الفـــراش بينما سلوى واقفه تنتظر عودته .

ـ أوصلتهم ..؟

ـ أجل ..

عاد محمد الى مقعده ولكن كل شيء كان يفكر فيه قد انتهى حتى الاوراق التى كانت بين يديه لم تعد به رغبة في العودة لها فنهض من مكانه ..

حلم

انت نزق ·· انت لا تهتم بالامر سيان عندك وقفت أمام الباب أم قفزت من نافذة فى الدور السابع · تحاول أن تكون لا شىء ومع ذلك تغلى من داخلك ··

انت حقود ·· وفى نفس الوقت جبان ·· كل همك أن تكون وجيدا أمام نفسك وأمام الناس ، تستمع فى صمت لكل ما يقال ثم ترسم ابتسامتك الباهتة ·· أو خنجرك المسلط ·

وتلفت غالب يبحث عن المتكلم ··لم يكن هناك احد سوى الكتاب الذى بين يديه · والراديو الذى غلب عليه التشويش فيه على الاغنية المذاعة فلم يهتم بتعديل المؤشر ·· وجدران الغرفة الاربعة وبعض الكتب المتراكمة فوق طاولة صغيرة وبعض الاثاث المتناثر هنا وهناك ··

وعاد للكتاب وقلب الصفحة ·

انت ساذج هكذا ·· انها الحقيقة وتحاول أن تخلق من نفسك شيئا جديدا وقادرا صلب لا ينكسر ولا يتأثر بعوامل الجو · لماذا تكره الصفرة فى الرز ولا تهتم بأخذ السلطة ذات الطعم المزز ·· لماذا تكره الليمون والشطة ··؟

ـ أأنا أكره الليمون والشطة ؟

وصمت منتظرا الجواب · لكن لم يكن هناك من يهتم بذلك فأغلق الكتاب الذى بين يديه ومد يده بتكاسل الى الراديو وأخذ يعبث بالمؤشر ويتطلع فى ساعته ·· لقد كانت التاسعة وأغلب اذاعات العالم تقدم نشرات الاخبار وأخذ يبحث فى جنون وسرعة عن اذاعة ولكن كان كل شىء موسيقى وتشويش ومؤثرات خارجية تزيد من وجع الرأس وفى نرفزة أغلق الراديو · ثم تمدد فى الفراش ·· ضايقه الضوء فمد رجله الى زر الكهرباء وسرعان ما سبحت الغرفة فى الظلام ·· ويتحسس اللحاف بعد أن دب الخوف فى أوصاله وغطى وجهه وقدميه وكل أطرافه ·

حاول أن ينام وعاد الى احلامه ٠٠انه وحيد منذ تركته نوره معهواجسه وأحلامه لقد قررت عدم العودة بعـــد أن شتم أصلها وفصلها فى حالة غضب وتأسف على زواجه منها رغم أنه وفى خلال أربع سنوات كانت كل المبادرات تجىء منه هو ٠٠ لم ينس فى يوم أن يقول لها كلمة شكر فى هدوء ورقة٠٠ ولكن ماذا اغضبها ٠ المرتب الصغير٠لا أظن فكل زوجة ترضى بما يقدمه لها زوجها ولو كان خبزا وماء ٠٠ هل هو شتمه لاسرتها ٠٠ قد يكون ذلك مجرد حدث طارىء لا بد أن فى الامر شىء ما ٠٠ ؟

انها المائتى ألف ريال ولكن له أكثر من عشرات السنوات وهو فى كل ليلة يرجو الله أن يمنحه هذا المبلغ ليعمل كل شىء ليشترى سيارة ويقتنى بيتا ويرفه عن نفسه وعن زوجته ٠٠ لكن لم يتحقـق شىء من ذلك انه موظف منسى ومجمد لا يتغير راتبه ولم تتغير مرتبته منذ توظف منذ مليون عـام وكل شىء كما هو ٠٠

والراتب لا يبقى منه عند توزيع حصص البقال وايجار الشقة والاكل سوى ثمانين ريالا ٠٠ يدبرها حتى يحل مرتب الشهر الجديد ولم يتغير الحـــال ٠٠

هل هذا هو سبب غضب نوره٠٠؟انه مبذر هكذا قالت وما زالت تقول انها تحلم مثله ولـكن ليس بمـائتى ألف ريال ٠٠ انها تحلم بدار لهـــا ولبناتها دار ولو من غرفة واحدة ٠٠ تجعل الاطمئنان يسرى فى عروقهـــا يشعرها بأنها ربة البيت وانهـا كل شىء ٠٠

ويرتفع صوت جلبة وضوضـــــاء يقفز على أثرها غالب من الفـــراش ويضىء النور ٠٠ ويأخذ فى التجول بين الغرف لمعرفة مصدر الجلبة ويقرر اقفال المطبخ والحمام بالقفل وكذلك الغرف الاخرى حتى الباب الخـارجى أقفله بالمفتاح ٠٠ وعاد الى الفراش ودفن رزمة المفاتيح تحت المخدة التى يضع رأسه عليها ٠

احتضن الراديو ٠٠ وأخذ يبحث عن أغنية تشاركه وحدته فى هـــذه الساعات المتأخرة من الليل ٠

وارتفع الصخب

انى أموت • كلهم لا يدرون ماذابى وما أعانى • ألم يهترى جسمى والافكارالملعونة تسحق هامتى تشنق كل محاولة للهدوء تطرق بابى السأم يكبلنى • الضجيج مزروع حولى والوقوف أمام النافذة أو الجلوس على عتبة الدار والرد على تحيات **المارة لا يفيد بشىء** ••

على أن أعود لاتمدد فى فراشى أوالجلوس أمام درج أشرطة المسجل للبحث عن شريط قد لا أجده ، ولكن ماذا فى الامر ؟ وجدت هذه الجملة فوق الجدران أمامى تلفت انتباهى كمؤشر سيارة صغيرة تحاول الانحراف وأخذت افتش جيوبى كانت هناك قصاصة تقول ــ الاخ احمد فكرة القصة لطيفة وذات مغزى فقط تحتاج الى بعض التركيز عاود قرائتها لتعرف ذلك •

اين التركيز الواجب تسجيله نحن نعيش التدهور لقد فغرت الهاوية فمها منذ مليون عام ولا زالت تستقبل المزيد انى اقترب الخطر يحدق بى من كل مكان وعلى أن اسجل شيئا قبل أن تتلقفنى الهاوية واستقر فى القاع • وماذا اسجل ؟ ماذا فى الامر تطل جميلة بوجهها المعروق ويدها النحيلة وشعرها الاسود رغم السنين قد افتر ثغرها عن ابتسامة لتضع أمامى دلة القهوة مع فنجان واحد ••

ــ انى ذاهبة ••

ــ ألا تشربين معى •• فنجانا ؟•

ــ لا أستطيع الوقت متأخر ••

ــ ولكن الى أين ••؟

ــ يعنى ••؟

ولم تقل شيئا هزت رأسها وأخذت تبحث عن عبائتها • واتجرع القهوة اسارع فى شرب الفنجين محاولا التغلب على الصداع الذى يهد رأسى وفشلت فالصمت الذى فرضته حولى بعد خروج جميلة لم يدم سوى

دقائق اذ اخترق ازيز دراجة ابن الجيران صومعتى وبكاء اطفال الوافدات لزيارة جارتنا شل ما تبقى فى أعماقى من محاولات ٠

ـ يجب أن تغيرى رأيك وتبقى معى فهناك موعد هام يجب انفاذه وبعد ذلك اسمح لك ٠٠ امامك وقت كاف كى تلغى الفكرة أرجوك اخرجى عن صمتك واجيبى على رجائى ، هل ستغيرين أم انك ستبقين على عنادك ؟

ـ ٠٠٠٠

ـ يجب أن تغيرى رأيك ٠٠

وتلفت حولى لم يكن بالقرب منى سوى دلة القهوة الفارغة وفنجان فى قعره بقايا وجملة تقول ـ كذلك هذه العائلة فرع من قبيلة كبيرة كانت تسكن الحجاز ويوجد حضر ينتمون الى تلك القبيلة وقد ورد ذلك فى كتاب تاريخ نجد ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٠

كانت المسألة بسيطة للغاية مسألة يقال أنها تتعلق بطبيعة الانسان وغرائزه واشياء كثيرة شعرت الان انها تافهة رغم ان العم أبو صالح أكد ارتباطنا بالاسرة الموجودة فى القصيم وان السبل التى تحمل اسم العائلة الموجودة بتلك الناحية لنا الحق فى سهم من أسهمها وكل ما علينا هو مطالعة شجرة العائلة ٠٠

ـ احمد ٠٠ أحمد انهض ـ هو أحد ينام الوقت هذا ٠٠؟

وتطلعت حولى كانت الساعة السابعة والنصف مساء ٠ حاولت أن أقول شيئا فلم استطع ٠ المهم عادت جميلة لتوقظنى من النوم ٠ ن الرفاق لم يحضروا للسمر كعادتهم وعلى أن أشاهد ماتبقى من برامج فى التليفزيون لقد برزت ثلاثة أشياء أمام أفكارى السابقة تخلق فى ذات الوقت مرحلة جديدة على أن أفكر بها فى جوهرها قبل أن يأخذنى الوقت ويرتفع الصخب من جديد ٠

●●●

الحنين واللحظات المفاجئة

ـ حامد ·· انهم يراقبوننا ···

وتلفت حوله يبحث عن المراقبين وتذكر فجأة انه وحيد والغرفة مقفلة حتى النوافذ مقفلة وليس هناك سواه وصوت « المكيف » يملأ الغرفة أنينا ·

ونهض من على مقعده وهو يحرك النظارة محاولا تثبيتها على أرنبة أنفه واقترب من الباب وأخذ يستمع قد يكون هنـــاك حركة فى الخارج ·· أجل ·· هنـاك أحدهم ·· وانحنى يتأمل من خلال ثقب الباب واصطدم نظره بالجدار المقابل · ولكن هناك أحذية كثيرة تتجول وتأمل الساعة لقد كانت الحادية عشر ظهرا ·

كيف يستطيع هؤلاء التجول فى مثل هذه الساعة والحر يسلخ الاجسام لا بد ان فى الامر شيء · وأخذ يتجول فى الغرفة مفكرا ···

لقد تسرب القلق الى أعماقه انه اليوم الرابع الذى يعيشـــه فى هذه الدومة لقد رحل الجميع وغدا وحيدا ··· لا لم يرحل الجميع لقد قرر هو الرحيل هذه المرة وكان عن سابق اصرار · كان يعرف معنى الفراغ والصمت والوقت القـــاتل الذى يمر رتيبا فى سأم وشك · ولم يصل الى شيء ·

عاد الى مقعده يقلب الاوراق التى أمامه على المكتب · وجدها متراكمة هنا · لقد أحضرها الفراش مرتبة من المكاتب الاخرى وعليه أن يوقع وتذكر اذن كل هـــؤلاء مراجعين ينتظرون أوراقهم وله أربعـــة أيام وهو يوقع ولكن لم تخرج ورقة من المكتب · أجل انه يتذكر لم يفتح ملف واحـــد من الملفات المتراكمة على المكتب وانما كل ما وقعه هى تلك الاوراق التى دخل بها أشخاص · أخذوا يسألونه عن الصحة ويهنؤونه بسلامة الوصول · داعينه لشرب القهوة لكن كيف تعرف بهم انه لا يدرى · أجل فهم أغراب لا يعرف أســـــماءهم وانما يعرف وجوههم · أظن حتى فى الزحام وفى

السوق سوف يذكرونه بالدعرة انلمحهم ويقلب الملف الاول ويأخذ المعاملة الاولى ثم يبدأ فى القراءة ...

ـ حامد تذكر.. أنهم يراقبوننا...

وتراخت يده وقد سرت قشعريرةفى جسمه . أجل انهم يراقبونه ولكن الاخرين بعيدون « أمل » و « محمد »و « عزة » .. ؟

كلهم بعيدين لقد أمضى هذه الايام الاربعة يفكر فيهم كلهم بعيد . ثم يلمحهم بين الوجوه التى استقبلته اوالتى دخلت عليه المكتب .

لكن كيف حالهم الان .. ود- يدهللتلفون . ورفع السماعة يقرع الباب ثم يدخل مراجع فيعيد السماعة الىمكانها . ويأخذ القادم بالاحضان ويسأله عن الصحة والاحوال ويقلالرجل أوراقا بين يديه ثم يخرج قلمه المذهب من جيبه ويقدمه لحامد الذىأخذ يوقع الاوراق والكلمات الرسمية تمر عن الصحة وعن طلب تحديد وقتمناسب للتشريف وشرب فنجان من القهوة . وامتلا المكتب بالمراجعين وفىعفويه أغلق الملف المفتوح بعد أن أعاد اليه المعاملة التى كانت بين يديه .وأخذ يضحك مع الجالسين .

●●●

المفترق العاق

سرحت تتأمل تلك الاحداث التي مرت بها خلال حقبة من الزمن هي بحد ذاتها لا شيء بالنسبة للاخرين لكنها في حقيقتها هي تمثل أجيالا من الاسر . أخذت « حصة » تجمع شتات الخواطر رغم الفوضى التي يعيشـــها الفصل وصراخ .. الطالبات وعمهمه المقاعد المتضجرة من اضطراب محتليها وفي محاولة يائسة رفعت يدها لتهدىء الطالبات . لطرد تلك الذبابه اللعينة التي أخذت من أرنبة أنفها منبرا . ؟أم لطرد تلك الغمـــامة التي اخذت تعترض طريقها .. ؟ أم هي محاولة يائسة لاسكات ذلك الفم الذي انهال يقرعها على فـــكرتها الجديدة التي اختمرت في ذهنها وقررت تنفيـذها رغم كل شيء . ران الصمت على الجميع وتلفتت حولها تبحث عن الضـــجيج والضوضاء . وفوجئت بالهدوء يخيم على الغرفة وشمس الربيع تتسلل في هدوء عبر ســـتائر نوافذ الفصل .وأنين خافت هو صدى تلك الحركات المكتومة الصادرة من الغرف الاخرى عبر شقوق الابواب ومن وراء وقع نعال وأحذية المدرســـات وعاملات النظـــافة خلال تجوالهم في أروقة المدرسة الكبيرة .. زرع كل هذا فوق الجدران علامات استفهام كبيرة ملونة سرقة وســـائل الايضاح ورسوم الجدران ألوانها بقسوة وعناد وتمددت فوق المقاعد علامة استفهام كبيرة لالون لها . وصرخت في الطالبات ...

ـ ولكن هذا فم مين .. ؟

واحتارت الطـــالبات دب الذعر والخوف في أوصـــالهن وهي التي عودتهن على قسوتها ... وعنادها في الوصول الى جواب مهما كانت الاحوال واستنجدت صاحبة المقعد الاول بجارتها وعادت الحركة الى الفصل لانتزاع « حصة » من هواجسها وتصرخ في واحدة ..

ـ نجاة واصلي القراءة .. ؟

وأخذت نجاة تقرأ (يا بهجـــة القلب يا منبع الحب والعطف يا أمي.. خففت آلامي أسعدت أيامي بالحب يا أمي بالروح أفديك ..) .

ويرن الجرس معلنا انتهاء الدرس ، وجلست في الفصل وحيدة تناجي المقاعدة شاردة رغم انها أخذت الكراريس لتصححها الا انها لم تقم بتصحيح واحدة منها ..

ـ أنت عاقه ...

وتلفتت حولها .. ولكن من أنت .. أنا لست عاقه ونهضت من فوق كرسيها واقتربت من النافذة وأخذت تتأمل الطريق الموحل حيث يقبع المنعطف . ورفعت وأشارت فى تخاذل ثم أخرجت من فمها جملة كفحيح الافعى ...

ـ انه هو العاق ...

وكررت .. نعم هو المفترق العاق .. لست أنا .. ؟ هناك أمى .. وهناك أبى وكلهم يشدنى اليه فالى من أذهب .. ؟ تكلم يا من تتهمنى بالعقوق . وقبل أن تسمع الجواب فتح باب الفصل بقوة ودخلت الطالبات فى جلبة وضجيج غير مبالين « بالابلة » المصلوبة على نافذة الفصل ودارت حول نفسها ورمقت الطالبات بقسوة وصرخت فيهن ...

ـ أنا .. هنا .. !

فران الصمت على الفصل وأخذت طريقها الى مكانها أمام السبورة وأخذت قطعة من الطباشير ورفعت يدها وفى منتصف الطريق توقفت .. ورمقت الطالبات فى ارتياب .

ـ هوه الدرس ايه .. ؟

وجاءها الجواب من أكثر من فم فلم تفهم شيئا فاكتفت بما سمعت وأعادت الطبشيرة الى مكانها . وعادت الى كرسيها تحاول تصحيح الكراريس التى أمامها بينما سرت همهمة مكتومة بين الطالبات حاولت ـ العريفة ـ بثرة بوقوفها وأخذت تجيل بصرها فى الجميع توقفت أمام واحدة ...

ـ أنت ...

نعم .. يا « ابلة » ..

ـ والدك فين .. ؟

ـ مسافر ..

وتوالت الاسئلة على الطالبات فوجدتهن جميعا لهم آباء وأمهات بخلافها حيث لا أب ـ لها ولا أم .. كانت فى مثل سنهن لا تعرف شيئا

ولكنها الآن فهمت الحقيقة بحذافيرها .. أب مزواج كل سنة .. كل شهر له زوجة وأم بائسة رمت بابنتها لترضى أسرتها . كانت تسر وهي ترى الدار في هرج ومرج .. وكانت مسرورة أيضا وهي تحظى بلحظة عطف عند زيارتها لوالدتها التي أكتفت بتجربة واحدة في الزواج .. لتكون عالة على أسرتها ...

هكذا وجدت «حصة» أمها .. وهكذا وجدت أبيها .. كانت أمها امرأة فلم تنجح من ألسنة السوء اما أبيها فماذا تعرف عنه .. ؟ لا شيء سوى هذا الجحفل الجرار من الابناء والبنات وكبرت وتخرجت من معهد المعلمات أصبحت مدرسة حاولت أن تتجاوز كل شيء ..

ولكن كلمة ـ عاله ـ أخذت تتضخم أمامها تعرقل خطاها تملأ ما حولها عتمة . وقررت شيئا لم تحاول البوح به لكن أحدهم اكتشف ذلك فأخذ يلاحقها صارخا فيها ..

ـ انت .. عاقه .. !

ونهضت من مقعدها واتجهت الى النافذة وأزاحت الستائر .. ورمقت الشارع الموحل ورفعت يدها هذه المرة بقوة مشيرة الى المفترق . والتفتت الى الطالبات ثم صرخت فيهن ..

ـ انه هو العاق .. ؟

وأجابت الطالبات في صوت واحد ...

ـ نعم يا « ابلة » .. نعم يا « ابلة » .

●●●

عندما فات الوقت

· استقر رأيه أخيرا على أن يتزوج· وقرر البحث عن الفتاة المناسبة · فأخذ يسأل هنا وهناك ··ووجد ولكن في أعماقه شيئا يدعوه الى عدم الاقدام اذ انه يرى كل فتاة وجدها « فاطمة » تلك التى لعبت بعقول الشباب وفاز كل واحد منهم منها بموعد كاذب ···حتى هو أخذ من مواعيدها الكثير لكن عندما يصل كان يجد الشارع فارغا وباب الدار مقفـــلا بالقفل الاصفر المعتاد · رغم ان هناك بالداخل صوت وحركة ·

وقرر بعد جهد ان كل بنات المدينة غير مناسبات · وأفضل حل له أن يتزوج من قريبته رغم عدم معرفته لها · فشد الرحال مصـــطحبا خاله وابن خاله · أخذت الطريق أمام الثلاثة تقصر والحديث بينهم ما زال فى بدايته والســـيارة بين لحظة وأخرى يرتفع أنينها لوعورة الطريق الجبلى ·

وصل الثلاثة وتلفت « صالح » حوله يبحث فى البيوت الطينيـــة المتناثرة والمزارع الممتدة على مد البصر فوق الجبال وبين الاودية · عن وجده لامه التى ماتت وهو فى الثـــانية ·وحمله أباه الى المدينة حيث لقى هو أيضا ربه فكفله خاله وأهتم بأمره ·

ولم يجد من يساعده على رســم صورتها أو ذكر شىء عنها فكلهم نسيها ولم يعودا يذكرون « حليمة » ·· فكم من حليمة ماتت فى هذه السنين التى مرت وأصبح عمره فيها ثلاثين سنة ·كل ما استطاع أن يجمعه هو عشرون ألف ريال منها خمسة آلاف دين ·

استقبله الجميع · ودارت الدعوات كل يوم فى دار وكل وليمة فى دار ومـــا زال الحديث كمـــا هو فى بدايته · وطالت مدة المكوث بدون نتيجة ·· اما لشروط هو يريدها لم تتوفر أو لشروط أهل الفتاة لم يوافق هو عليها · وتسرب الملل اليه والى خاله فكلهم يريد أن يتزوج مثله وكلهم يبحث عن فتاة · وهو يريد فتـــاة كاملة · وابن خاله يريد امرأة جميلة، امـــا خاله ابن الخمسين فيريد امرأة ولودا بعد أن سمحت له زوجته العقيم بأن يتزوج · انه يبحـــث عن امرأة ثالثة ···

ووجد الجميع طلبهم ، وكان الحفل رائعا ، وعادوا والبسمة ترف على الاهداب تزوج الاب وابنه أختين ، اما « صالح » فقد تزوج ابنة عم زوجة خاله العقيم ٠

ومرت الايام رزق فيها الثلاثة ثلاثة مواليد فى فترات متقاربة وهش الاقارب تهللت الاسر الثلاث بفرح وحبور ٠ ولم يلحظوا فى فرحهم هذا ما يدور فى قلب زوجة الخال العقيم التى شاركت الجميع فرحهم وشملتهم بعطفها وارشاداتها اذ كانت فى مقام الام لكل واحدة من البنات الثلاث ٠٠

وانفجر الموقف ٠٠ قرر الخال تطليق زوجته الجديدة بعد أن وجد فى سلوكها ما يعيب وطلب من ابنه تطليق أختها مدعيا بأنه لا بد ان زوجته أثرت عليها وان ابنه لم يلاحظ ذلك ٠

وتسرب الشك الى قلب « صالح » ٠٠٠ فأخذ يراقب زوجته وقرر اغلاق الباب عليها بالقفل عندما يغادر الدار ٠

ولم يتوقف شكه عند حد فأخذ ينهار جسمانيا ونفسيا فشخص بصره وأخذ لا يكف عن الحديث فى مشيه أووقوفه ٠ وشعر زملاؤه بما هو فيه لكنهم كانوا يجهلون السبب ٠ فلم يستطيعوا التخفيف عنه أو حل مشكلته ٠

وطلب أجازة من العمل لمدة ثلاثة أشهر ٠ فأخذ زوجته وسافر بها الى القرية واستقبله أهله بالترحيب ٠ وطلب منهم عندما قرر السفر ابقاءها عندهم حتى يعود لاخذها مدعيا انه انتدب للعمل فى أماكن بعيدة من البلاد ٠

وعاد الى عمله ٠ ولم تمر أيام حتى تحقق ما ادعاه فانتدب الى الحدود الجنوبية من البلاد ثم الى الشمال ثم الى خارج البلاد وكأنه توقف قليلا أثناء مشاغل العمل عن التفكير فى زوجته وابنه ٠٠٠ وحط الرحال أخيرا وقد عاد اليه بعض هدوئه ٠ فقرر السفر الى القرية لاخذ زوجته وابنه ٠ فأخذ يفكر فى يوم السفر ودخل عليه أحد زملائه فى غرفته بمقر العمل يحمل بين يديه رسالة وصلت مع ساعى البريد الذى لا زال داخل الادارة يوزع ما فى حقيبته من رسائل فهجم على زميله عندما تأمل ختم

البريد وفض الرسامة وما أن وصل الى نهايتها حتى تهاوى على مقعده ..

(لقد أرسلنا لك أكثر من رسالة ولم يصلنا الرد عسى المانع خير ... وقد ذكرنا لك فى رسالة أرسلناها منذ شهر بأن زوجتك انتقلت الى رحمة الله فى حادث مؤسف . اذ سقطت فى احدى الابار وهى تحاول جلب الماء الى البيت ... اما ابنك « عبد الله » فهو بصحة جيدة ولا مانع لدينا ان حضرت لأخذه ..) .

ووضع رأسه بين يديه يتأمل الرسالة التى تمددت على المكتب أمامه ثم رفع رأسه وأخذ يتأمل وجه زميله الذى ما زال واقفا ينتظر منه كلمة شكر . ثم طوى الرسالة فى هدوء ودسها فى جيبة وخرج من مقر العمل ...

●●●

ذات يوم

١ ـ الساعة الرابعة والنصف مساء

يبدو مع ذلك اننى أهملت واجباتى .. انقضى أكثر من مائة عام قبل أن أصل الى هذه النتيجة . لا شىء تبقى سوى نحن الثلاثة . السماء ملبدة بالغيوم . وكراسى المقهى المنتشرة هنا وهناك شبه ممتلئة بالمرتادين والجرسون يعدو هنا وهناك وبين لحظة وأخرى ينادى بصوت مرتفع أربعة أسود . ! عبى حجر . ! أو غير الراس .. !

وأنا أحاول أن أنصت أكثر من اللازم حتى استمع الى الحديث الدائر بين رفيقى صالح وحمد . ان حديثهم الهامس رغم انه لا شىء يثيرنى . ! وصرخ أحدهم :

ـ مطر . ! مطر .. !

وتساقط المطر وأخذ الزبائن يفرون ، اما نحن الثلاثة مع برادنا وتعميرتنا ... فقد صمدنا ، وأخذنا نضحك من الفارين من مطر الصيف .. انها سحابة وتنقشع وكدنا نيأس .. كاد صمودنا يتحطم أمام آخر زخة من المطر . كان الرهان كبيرا .. وتوقف المطر !!

وعدنا لحديثنا الذى انقطع مع تساقط أول قطرة ماء .. وعاد صالح وحمد لهمسهم ...

وتأملت السماء .. فى شىء من الضيق .. وتأملت رفيقاى .. وهمست ..

ـ صالح .. هل تذكر أباك .. ؟

سؤال غريب .. كنت أشعر بغرابته وعدم استساغته ومع ذلك صممت على القائه صمت قليلا .. وقال :

، أجل أذكره ·· وأعرفه · كان رجل مغامر كثير الرحلات ·· تاجر فاشل ·· هاجسه ظهر بعيره ·· رحل ذات يوم ولم يعد · كانت سفراته طويلة فلم نكن نقلق ·· وجاءنا خطاب بعد مضى سنة على آخر سفره له يقول أنه مات ··· أجـــل مات فى أرض الغربه ·· ولا شيء أكثر من ذلك ···

وصمت ·· كنت أظن اننى أعرف الكثير عن والد « صالح » · ورددت اننى أجد عطفا خفيا على الفتى ولم أجد مدعاة لان ألومه لرغبتـــه فى الايجاز · وكنت على استعداد لتشجيعه ومعاونته على الاسترسال ·· ونظر الى « حمد » ليرى أثر الحديث فلم أمهله اذ فاجأته ···

ـ حسنا وأنت يا حمد ·· هل تذكر أباك ·· ؟

تأملنى مشدوها ·· فهو يعرف اننى أيضا أعرف أباه ·· واننى كثيرا ما جلست معه استمع الى حديثه الشيق وشكواه من الزمن بأسلوبه الفـكه الممتلىء فلسفة ومنطقا ··· اذ كان يحلل كل شيء ولا يدع مجالا للشك ·· أسلوبه مقنع وحواره هادىء ···

ـ أبى تعرفه ·· وأعرفه كان رحمه الله يحرص على أن نكون صالحين قدر المستطاع · وتوقف عن الحديث ·· كان يريد أن يقول (يمكننى أن أقول لك بايجاز اننى كما اكتشف المخلوق الاول قدرته على لمس خنصره بابهامه استطيع أن أبين لك النتائج التى تضمنتها هذه التربية على قدر ما يخصنى فى هذا المقام فقط) ·

٢ ـ الساعة السادسة مساءا

دب الملل والسأم فى أعماقنا من مكوثنا فى المقهى بعد أن فرغنا من الحديث وسئمنا من مرور القهوجى أمامنا بين لحظة وأخرى وصراخه ···

فركبنا السيارة وقررنا التجول بين الصـخور والاشـــجار المحيطة بالمكان ·· وما ان فتحت باب السيارة حتى واجهنى سؤالى ···

ـ وأنت هل تعرف أباك ·· ؟

تلفت حولى فوجدت « صـــالح » مشغول بادارة جهاز الراديو · و« حمد » يتلفت حوله ويجيل نظره ليستمتع بالنظر ما أمكنه من الاشجار ·

ـ أبى ٠٠ مات وأنا فى الثانية من عمرى ٠٠ ليس بمغامر أو تاجر ٠٠ رغم انه كان كل شىء ٠ اشتغل فى التهريب والتجارة وعاد بخفى حنين ٠٠ حاربه أهله فهـــاجر الى الجنوب مع الحكومة وهناك وجد عملا ٠ اشـتغل بجد ونشاط ٠٠ ولكنه توفى مخلفا الكثير من الاملاك ٠٠ ومع ذلك ها أنا ابن الثانية لا أملك شيئا وقد جاوزت الثلاثين ٠

موظف عادى ٠٠ مرتبى محدود ٠٠ وتذكرت ان صالح وحمدا أيضـا مثلى لا شىء ٠٠ كلاهما موظف عادى ومرتبه محـدود ٠٠ لكنهما يبزاننى بشىء جوهرى انهما يعرفان أباهما اما أنا فكل معرفتى هى حكايات معاصرية لا غير ٠٠

وعدنا أدراجنا الى المدينة رغم ان الوقت ما زال مبكرا ٠٠

ـ الى أين ٠٠ ؟

ـ الى البيت ٠٠

ـ لماذا لا نرجع الى المقهى ٠٠ ؟

وعدنا الى المقهى بعد أن وافق الاثنان ٠٠

★ ★ ★

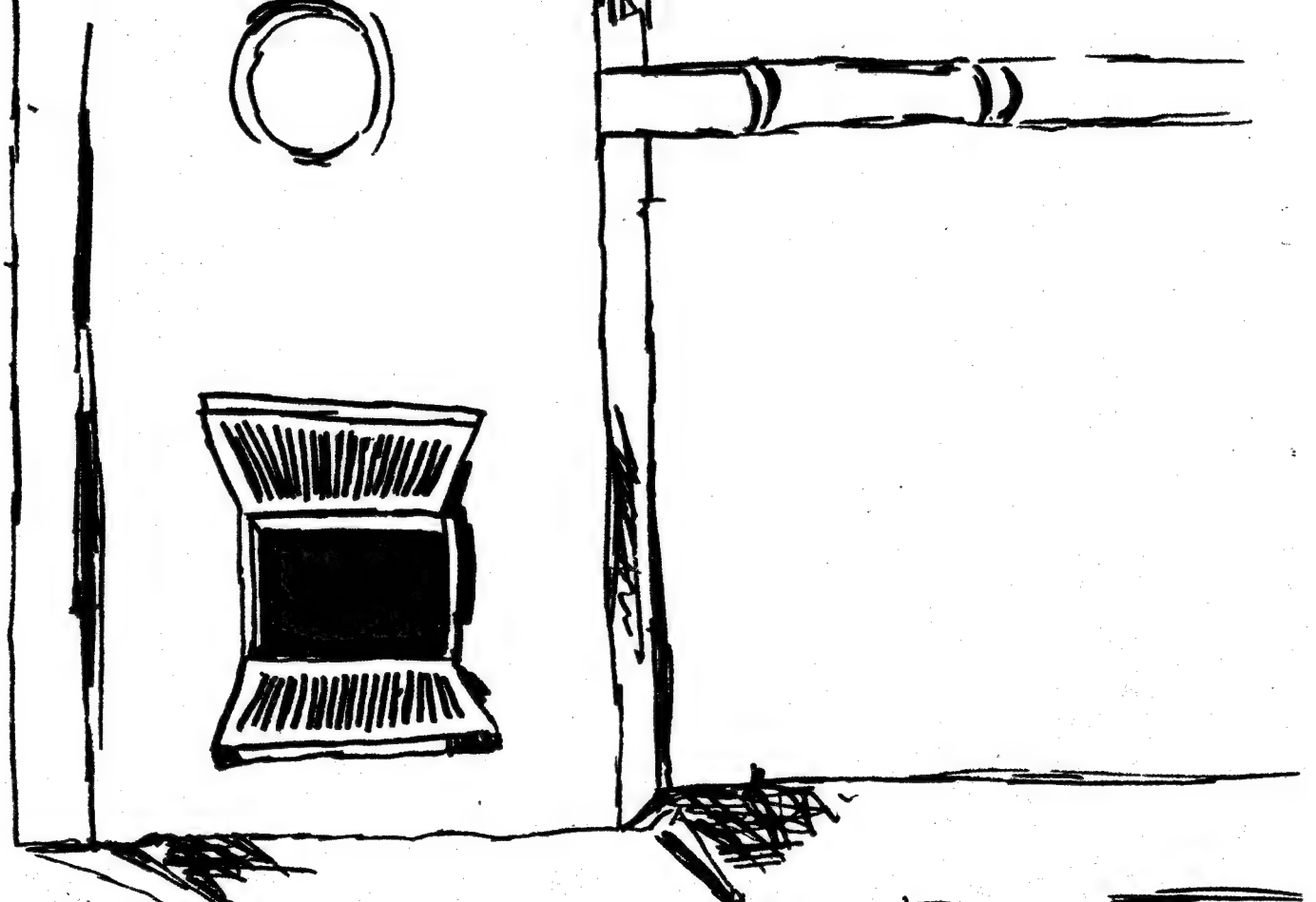

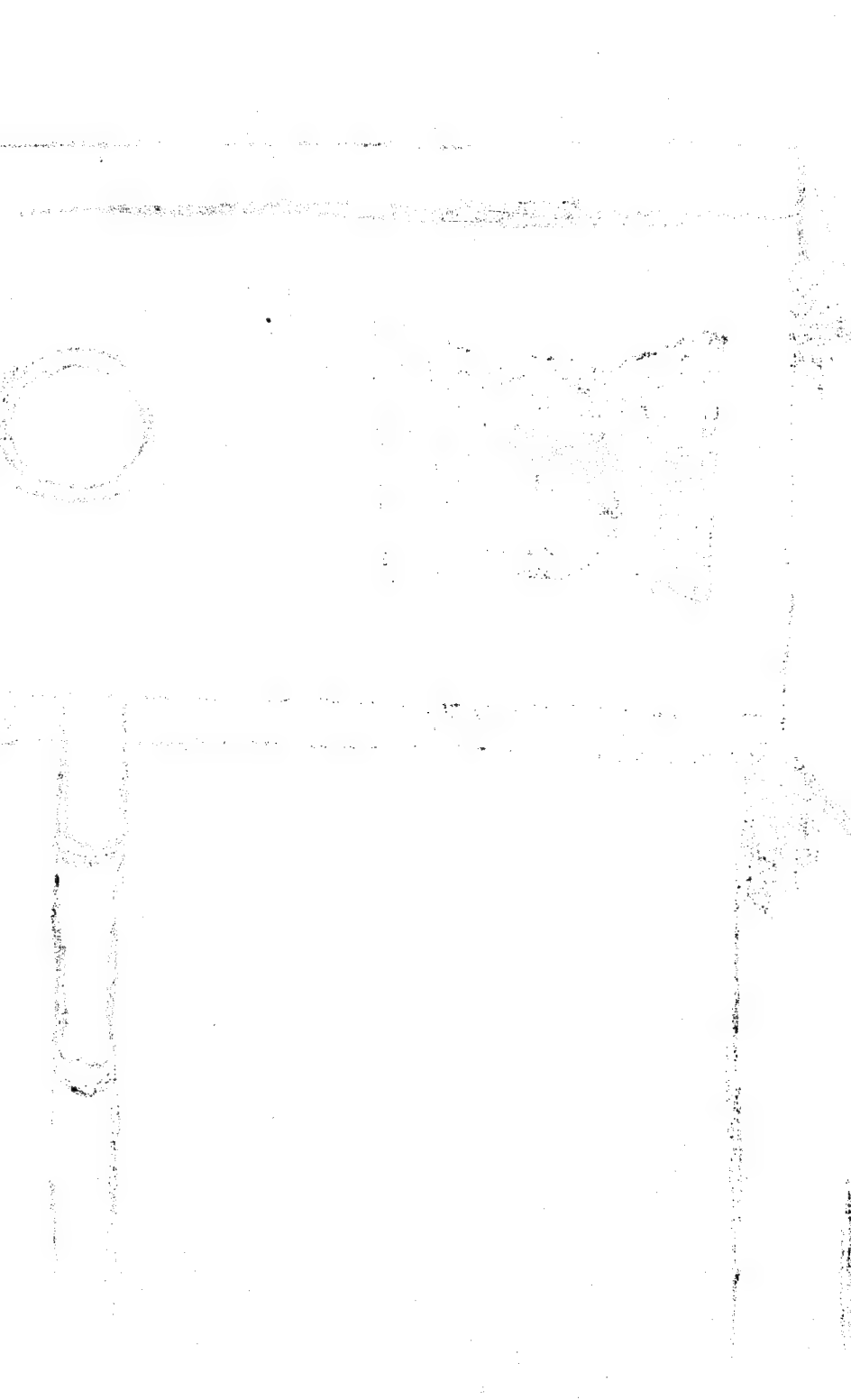

نقطة اليأس

استحال كل شيء الى ضباب وتلاشت الطريق . لم يعد هناك أمل في الوصول الى البر فى سلام . بدأت الاحداث تطفو معلنة عن نفسها بطريقة صارمة . زرعت الدموع فى عين « فاطمة » التى ما برحت تتأمل ابنتها الجاثية على أقدام خالها المريض فتراقصت الصور أمامها تلعن كل شيء فى هذه الحيـــاة الموبوءة التى أعلنت عن وجهها الآخر فجأة .

كان كل شيء يسير فى طريقه برتابة ووضوح تملأ النفس ثقة والحياة طعما لذيذا ...

ـ ما رأيك يا فاطمة .. ؟

ـ فى .. ماذا .. ؟

ـ فى أن تبقى هنا مع أبنائك أو نذهب الى الطائف على شرط أن تسكنى فى دارنا .

ـ لكن من يعيش معنا أثناء غيابك .. ؟ ان الامر مستحيل هنا . وفى مقدورنا أن نطلب نقل ملف الابناء ..

ـ أجل فى استطاعتنا .. ولكن كما قلت ..

ـ يعنى أســـكن فى دارنا .. أليس كذلك .. ؟

ـ أجـل ...

ـ وهل أبقى وحيدة هناك وأنت تعلم ان للبيت طلبات وحاجات ..

ـ أعلم ...

ـ أم ترغب فى استئجار خادم للعناية بأمرنا .. ؟

ـ فى امكاننا ذلك .. اذا تعذر بقاء أحد أشقائك معك ..

ـ ولكن لم لا توفر نقود الخادم . وتدعنى أقيـــم مع أسرتى حتى تعود .. ؟

ـ هذا مستحيل ...

وأصر « سالم » على كل كلمة قالها ووجدت « فاطمة » نفسها وحيدة مع شـــقيقها المريض تترقب زيارة أحدهم حتى يأخذه الى المستشفى أو

يبلغ والدها للاسراع الى نجـــدتها وتراكمت الساعات وكل شيء يزيد فى رهبة اللحظة التى تعيشها ولم يسعفها تفـــكيرها بشيء فتداعت فى غرفتها تبكى . بينما انين أخيها المريض وبكاء أبنائها المحيطين به يتسلل عبر الباب. كان المرض المفاجيء له وقعة فى الدار الصغيرة فى هذا الوقت المتـــأخر من النهار ..

وفتحت أثناء تقليبها لمحتويات الغرفة دولاب الملابس وأخذت عباءتها من المشجب وخرجت لا تلوى على شيء الى الطريق وفوجئت بالظلام المخيم وترددت وهى تنقل خطواتها السريعة الى أى ناحية وبعد خطوات لمحت سيارة أجرة وقبل أن تفتح فمها منادية توقف أمامها ..

ـ نحن فى الخدمة ..

ـ أبغى المستشفى ..

ـ السيارة .. وصاحب السيارة خدامك .. تفضلى .. !

ولم تتحرك الســـيارة فقد أصر الســـــائق على أن تركب وهمت بالانسحاب لكنه استغل خلو الشارع فلحق بها وأمسك بيدها بقوة وتصميم.

ـ أمرك .. لكن يجب اسـعاف المريض .

ـ من عيونى .. بس .. ؟

ـ انى أعدك وأقسم لك فقط ساعدنى ...

وأخذت المريض الى المستشـــفى وثابت الى رشـدها فأخذت تفكر فى وعـــدها . كان عليها أن تبحث عن مخرج وطلبت من السائق أن يوصلها الى منزل أسرتها وتردد لكن طمأنته بأنها عند وعدها له . واســـتقبلها والدها وبقيت الاسرة مستغربة زيارتها المفـــاجأة واطلت الدموع من مقلتى والدتها وهى ترى المريض والقلق الذى تعيشه ابنتها ...

عاد الاطمئنان الى فاطمة وهى ترى الجميـــــع حولها فأخذت تعود الى حالتها الطبيعية وتتعجب من ابنتهـــا البكر التى أصرت على البقـــاء طوال الوقت جاثية عند أقـــدام المريض . تشجعه على تناول الدواء وتساعده على الاكل ..

وكان بين الجميع قريب أصر على الاشراف على علاج المريض · أخذت تتأمله متذكرة انه تقدم يوما ما لطلب يدها · وتوقفت أمام والدها تتأمله وهو يتحدث · يوزع أوامره ثم يمديده ليدثر أو يربت على المريض ·

ـ انك انتهازى ···

خرجت هذه الجملة رغم أنفها وتبتعد بنظرها عن أبيها خشية أن يسمعها أحد وعادت متسللة تتأمل أبيها · كان كل شيء يسير كما كان منذ لحظات ولكن لم تفوهت بهذه الكلمة ؟

ان « سالم » رجل غنى وذى مركز مرموق اما هذا القريب فهو مجرد موظف صغير · وصاحب سيارة الاجرة · ماذا يكون أيضا · أتراه انتهازى أيضا وانتصبت صورة زوجها أمامها فصرخت ···

ـ وأنت ·· ماذا تكون ·· ؟

واثارت انتباه الجميع بما قالت ···

ـ فاطمة ·· ما بك ·· ؟

ـ لا شيء ···

ـ لكن ماذا قلتى ·· ؟

وتدخلت والدتها ··

ـ انها متعبة ·· انهضى لتنامى قليلا ···

وترددت ولكن نظرات أبيها ورجاء أمها دفعاها الى مغادرة الغرفة مستسلمة · ووقفت فى نافذة غرفتها القديمة ترمق الافق فى يأس وتبحث عن جواب ···

البحث عن ابتسامة

لتنهار كل المبادىء وليعم الدمار العالم . لترحل الكلمات الطيبة فى قارب صغير يجرفه التيار الى أعماق البحر . وتجتاح الاعاصير والامواج المدن وتتلاشى صرخات الهلعين . فى الضباب الاسود الذى أتمنى أن أغطى به كل شىء حولى حتى نفسى . أنا حاقدة لانى منبوذة كلهم رأوا فى شبح الجريمة وحقد البشرية جمعاء رغم اننى لم أقترف ذنبا يذكر . ماتت أمى وهى تصر على أن أكون بعيدة فى مدرستى الداخلية التى قرر أبى حبسى فيها وأيد قراره جميع أفراد الاسرة . كنت ألمح بريق الانتصار يطل من العيون حولى فأعيد بصرى حسيرة أبحث عند أقدامى عن الحقيقة الضائعة فى زحام من حولى . لم ينتشلنى رفاقى مما أنا به ولم يخفف من مضاعفات ما أعانى رحيلى الدائب وحرصى على البحث عن الغرباء كنت أفر من الجميع لاحرص على اكتساب صديق ...

كنت أخشى مشاهدة ذلك البريق الذى لمحته فى عين أمى وهى جثة هامدة مسجاة على فراشها كان عهدى بها لحظة الانتصار عندما وافق أبى على ادخالى المدرسة الداخلية . البريق الذى شع من عيون الجميع انه الان يطل بقوة من عينى والدتى الميتة والتى أصررت على مشاهدتها قبل مواراتها التراب . ومبعث اصرارى تحدى الجميع .. وأبى المنهار الذى انهار لتلك الهمسات المسمومة التى تدور حولى كنت أريد منهم أن يصمتوا ولكن ذلك زاد من ثرثرتهم وتقدم منى طبيب الاسرة يسألنى ان كنت أريد مساعدة وفى بطء أزحته بيدى واتجهت الى الكرسى الذى اعتادت أمى الجلوس عليه فى غرفتها .. وأخذت أبكى ..

كان بكائى صمتى وتلفتى حولى .. وكان الفراغ يحيط بى لم تكن هناك جدران ولا ستائر نوافذ .. أبدا لم يكن أمامى سوى فضاء رحب . لا أعلم كم من الوقت مر كل شىء هادىء الرياح سكنت وأغصان الحديقة لزمت الصمت . وأخذ الموكب المهيب يجتاز باحة الدار . الجميع مطأطىء الرأس يأكلهم الصمت وتقرأ أفكارهم بشىء حاولت معرفته من تلفت بعضهم وهم يتبادلون أماكنهم تحت النعش والصقت وجهى بزجاج النافذة اتأمل الطريق والموكب يغرب ... يبتعد وشعرت فى تلك اللحظة بالدموع

تنسكب على خـــدى وسمعت ورائى خطوات . كان أبى المنهوك وتلقفنى بذراعيه كنا نبكى ودخلت عمتى ...ودخل بقية أفراد الاسرة . لقد انتهت مراسم الدفن لقد طمر القبر فى ثوان فقط شعرب فيها بان أبى لم يكن لى شيئا من الحب وان هناك نقطة نستطيع الالتقاء عندها ووقفنا مطأطىء الرؤوس نتقبل العزاء كانت كلمتهم واحـــدة كلهم يقولون كلمة واحدة حتى ذلك الصبى الذى التصق بساق أمه مع انه لم يحرك شفتيه الا انى سمعته يقول نفس الكلمة . وتحركت مبتعدة أخذت أسير وأنا ساهمة لم ابالى بنظرات من ولى ولا باســـــتعطاف أبى وهو يرجونى الوقوف الى جانبه لشد أزره وانتهت فترة العزاء عاد أبى الى مصنعه وأخذ الجميع يعودون الى مرحهم . كثر عدد سكان الدار هذه المرة هكذا تصورت رغم أننا فقدنا أمى لقد كان الضجيج يمـــلأ الغرف والاجتماعات الثنائية الصامتة تحطم أعصابى ...

نظرة النفور تقابلنى من الجميع الذين يتجنبون الانفراد بى . مجنونة . زرع أحدهم هذه الكلمة فى نفوس من حولى فصدقوه وتضخمت الهمسات سمعت الخدامة تكلم أحد عماتى ..

ـ لم لا تعود سلوى لمدرستها .. ؟

وعرفت مدرستى انها تلك الكلية البعيدة للشـواذ والمشـاغبين وذوى الحساسية الخاصة .

ـ محمود .. لمـاذا لا تعود « سلوى » لمدرستها .. ؟

كان أبى يتلقى هذا السؤال فى كل مكان . حتى عندما أخلو به ونجعل من الصمت رسول تفاهم كنت ألمح على السؤال المرسوم على الجدران فى كل مكان وصرخت فى أبى ...

ـ وأنت هل تريد منى الذهاب الى المدرسة ؟

وذهبت الى المدرســة وبعد أيام اذا بأبى يموت .. تدهورت سيارته .. ولم يعتن أحـــد بطلبى وغرقت فى دموعى بشـــكل رهيب حتى وجدت المشرفة على القسم الذى أنا فيه انه يجب مساعدتى (كان ذلك فى ليلة مشؤومة بالنسبة لى صرخت الفرحة فى جنبات دارنا ..) وأغلقت المشرفة فمى بيدها وهى تقول :

ـ انى أعرف كل شىء ...

ـ ولكن هل أنا مجنونة .. ؟

وطأطأت رأسها . وحاولت أن أنسحب من أمامها ولكنها أمسكت بي ...

ـ سلوى .. أنت لست مجنونة لكن هناك من يهمهم الصاق هذه الصفة بك ...

ـ كلهم يتجنبون أن يعطفوا علي ...

ـ انه عطف من نوع خاص .. عطف من نوع آخر .. أحدهم فرضه على الجميع .. ومع مرور الزمن صدقوه حتى أبيك صدقه وكذلك أمك رغم انها تقف الى جانبك كانت تخشاك وتنعتك في فترات مجنونة ..

ـ اني أتذكر أول مرة نعت بها .. عندما خرجت من غرفتها عنوة حيث كنت أحاول وأنا في العاشرة كما أظن فك الحبل الملعون الملتف حول رقبة أخي الصغير .

ـ لقد اتهمك الجميع بأنك خنقت أخيك بسبب غيرتك منه لان الجميع يهتمون به .

ـ ولكن يا سيدتي ...

ـ أعلم .. لقد دخلت الغرفة فوجدت الحبل يطوق عنق أخيك وعندما لم يتجاوب مع حركاتك أخذت تفكين الحبل محاولة ايقاظه فاذا بوالدتك تدخل فجأة ويلحق بها الاخرين .

ـ أجل ...

ـ وبعدها أخذ الجميع ينعتونك بالمجنونة ...

ـ أجل .

ـ والآن تحققت مآربهم وبما اني أعرف انك لست مجنونة لذلك يجب علي مساعدتك ...

ـ اذا لماذا أبقيتني هنا كل هذه المدة .. ؟

ـ خوفا على حياتك ...

وخرجت من باب صغير جانبي من المدرسة وأخذت أتجول في الشوارع حتى وصلت الدار وهناك وجدتها مهجورة وأخذت أبحث عن منفذ أدخل منه اليها . ودخلت .. أخذت أتجول في ردهات الدار وأشعل الانوار حتى

أصبح البيت قطعة من نور ويقرع الباب الخارجي . كان الحارس الليلي الذى اعتاد المرابطة أمام الدار أثناء نوبته . وتجلجل من الخوف عندما شاهدني . لكني قابلته بابتسامة رقيقة ودسست في يده قطعة من النقود وأنا أقول ...

ـ لا تدع أحد الى الدار حتى تخبرني ...

كانت الصور تجري أمامي وأخذت ألاحقها أبحث في الغرف المشعة بالانوار عن شيء بينما أصوات قرامل السيارات المسرعة التي تقف أمام الباب تصك أذني . تدفعني الى الجري . كنت أبحث عن شيء لا أعرفه وتصلبت أمام غرفة استعصت علي لأذكر لمن كانت ولكن الباب فتح .. كانت الجدران ملطخة بالصور وبالمناظر الجميلة وقد علاها التراب . أخذت أجول أتفحص .. اللعب المتناثرة لقد كانت غرفة أخي الصغير الذى كنت سبب موته وشاهدت السرير المتحرك المشدود بالحبل (لان والدتي كانت تهزه بواسطته أثناء انشغال الخادمة) . وأخذت الحبل بيدى هازة السرير محاولة تذكرة صورة أخي لقد بدت تلك الصور الموضوعة في براويز حول السرير غريبة ولم أعرها انتباهي ...

وتذكرت شيئا وأنا أتأمل صورة عمي أحمد أصغر أشقاء أبي فاطلقت الحبل من يدى ... وأخذتها بين يدي وأنا أستغرب وجودها في ذلك المكان . ورن جرس سيارة الشرطة فأسرعت والصورة بين يدى خارجة من الغرفة وهبطت الدرج ثم شرعت الباب على مصراعيه داعية الجميع الى الدخول وأخذت أتأمل الجميع المذهولين وشاهدتها مبتسمة وتقدمت وهي تمد لي يدها ملقية تحية المساء وأجبتها باحناءة من رأسي . ثم دعت الجميع الى الدخول .

كان أعمامي الثلاثة وعماتي وكل المستفيدين من وفاة أبي بالاضافة الى رجال الشرطة ومديرة المدرسة التي هربت منها وأخذتني المشرفة جانبا وأخبرتها بما قمت به ثم قدمت لها الصورة فتأملتها وأخذت تجيل نظرها في الجالسين . وعندما وصلت اليه دفعتها بكتفي فتوقفت أمامه واقتربت من ضابط الشرطة .

ـ ماذا هناك يا سيدى .. ؟

ـ لا أدرى لقد اتصل بي أحدهم .. ادعى أن هناك لصوص بدار المرحوم محمود .

ـ اذن لماذا جلست ... ؟

ونهض الضابط مرتبكا . فأخذته جانبا وتحدثت معه قليلا وعندما انتهيت اتخذ طريقه الى الباب الخارجى وهو يشير لمرافقيه ونهض العم أحمد ..

ـ سيدى .. ؟

ـ وماذا تريد .. لقد اثرنا المشاكل لسيدة الدار ..

ـ ولكن .. ؟

ـ أعلم ما تريد قوله لكن ما دامت المشرفة والتى تعرف كل شىء شرحت الامر فلا داعى للبقاء ...

وخرج الضابط ومرافقوه ودبت الحركة فى الدار المهجورة اما أنا فقد أخذتنى المشرفة والمديرة جانبا وسألتنى المديرة عن سبب هروبى واعترت فى الاجابة لكن المشرفة شرحت الموقف وتحول غضب المديرة اليها ووعدت بمجازاتها وهى خارجة والتفت أعمامى حولى بينما اختفت النسوة ورن الصمت علينا ..

ـ سلوى تعبة يجب أن ترتاح ...

تخلصنا منهم وأخذتنى الى غرفتى وأخذنا نتحدث كانت معرفة كل شىء عن الدار ... دخلنا غرفة أخى لنبحث فى الزوايا والادراج عن شىء وانتقلنا الى غرفة أمى نبحث بالادراج والخزائن ووجدنا « دوسيه » احتوت وصفات طبية كتبها طبيب الاسرة كما عثرنا على دفتر به بعض الملاحظات وخرجنا من الغرفة لنفاجأ بالعم أحمد يتلصص . حيث تصلب فى مكانه ومررنا به فى هدوء ـ مجرمة ـ هكذا كنت لكنى فى نظر أقربائى مجنونة . ولهذا لم يحدثنى أحد عند الصباح ولم يشاركنى مائدة الافطار سوى المشرفة ومديرة المدرسة التى وصلت مبكرة . وأخذت أتجول مع الاثنتين فى حديقة الدار ولما عدنا كان الجميع فى غرفة الجلوس وطلبت المشرفة الشرطة التى حضرت وقدمنا للضابط الملف الذى وجدناه فى غرفة والدتى ثم طالبته بفك الحجز على الدار والمصنع وتسليم كل شىء لى . واحتج الحضور وأخذت الكلمات تعلو بينما أخذ يقلب الملف ...

ـ انها مجنونة وقاتلة ...

ورفع رأسه باحثا عن صاحب الصوت . ولكن ران الصمت على

الجميـــع ونهض الى التلفون وطلب الدكتور وهو يتأمل الجميع وحضر الطبيب فأخذه جانبا وأطلعه على الاوراق ..

ـ وكيف مات الصغير .. ؟

ـ كما أظن طبيعيا ..

ـ ولكن أين الشهادة .. ؟

ـ هنه ...

وتأمل الشرطي الشهادة ثم اطلع الدكتور على جملة وضع تحتها خط (لقد قتلت أخيها انها مجنونة ..ولولا مســـــاعدة الطبيب لكانت فضيحة) .

ـ ما رأيك فى هذه الكلمات .. ؟

ـ لا أدرى .. ولولا انى احتفظ بسجل للاسرة لكنت صدقت هذا .

ـ هل كان الطفل مريضـــا ..مرض الموت .. ؟

ـ تقريبا ...

ـ ومن كان يشرف على علاجه ؟

ـ أحمد كما أذكر .. لان المرحوم كان مشغولا فى سفرياته ومشروعه الجديد .

ـ المصنع .. ؟

ـ أجل .

ـ وسلوى هل تذكر عنها شيئا .. ؟

ـ أبدا ...

ـ ألا تعرف دوافع ادخالها مدرسة داخلية .. ثم عدم مشاركتها فى دفن والدها ؟

ـ قيل لى انها اعتذرت ...

وتلفت حولى أبحث عن شىء أنهى به هذا الحديث واقتربت ...

ـ ألم يقولوا لك انى مجنونة .. ؟

ـ كنت أسمع شيئا من هذا لكنى لا أهتم ...

ـ لماذا ٠٠ ؟

ـ لانها بعيدة ٠٠٠

وأخرج الضابط صورة عمى أحمدالقديمة من تحت الملف ٠

ـ هل تعرف صاحب هذه الصورة ٠٠ ؟

ـ أجل ٠٠٠

ـ شـــكرا ٠٠٠

واقترب العم أحمـد وجلس على المقعد الذى غادره الطبيب ٠٠

ـ سيد أحمد ابنة أخيك « سلوى » تطالب بتسليم مخلفات والدها ولكن هناك اعتراضا منك ٠٠ وتدعى انها مجنونة وما هو ملموس نرى ان ذلك كذبا ٠ وهناك دوافع لذلك فماهو سبب معارضتك ٠٠ ؟

ـ لا شىء ٠٠ ولكن حرصـا على المصلحة العامة ٠

ـ اذن لا اعتراض ٠٠ ؟

ـ أنا لا أعترض ٠٠ ولكن لو قابلت الاخرين لوجدتهم يؤيدون فكرتى وان ما قلت حقيقة ولا مصلحة لى فيماذهبت اليه ٠٠٠

ـ وما هى علاقتك بوالدة سلوى الحقيقية ٠٠ ؟

وجحظت عينا العم أحمد عند سماعه لهذا السؤال ٠ وأخذ يرتعش عندما لوح الشرطى بدفتر مذكرات والدتى ٠وطال الحديث وحضر آخرون تلاشى فيه اصرارهم وادعاؤهم انى مجنونة ٠٠٠وتسلمت كل شىء وخرجت الصحف تحمل نبأ دخولى المجتمع وتلقفتنى الاضواء ٠ وأخذت أبحث عن نفسى بعد كل هذا ولكن وجدت انى منبوذة٠لقد طغت تلك المرحلة المترسبة فى أعمـــاقى أخيرا وشعرت بأن على أن أنزوى ٠ لقد وجدت أخيرا البريق ولكن بصورة جديدة كان بريق الحقد الذى يطل من مقل من حولى حتى من المشرفة التى وجدت ان دورها انتهى بانتصارى ٠ ونسيت فى لحظة انبهارى فضلها فتلاشيت فى الزحام ٠٠٠

الأقزام تنتحر

الساعة السادسة مساءا وقد هدأ كل شيء ولم يبق أمام الخندق وأكوام التراب سوى الاطفال يلعبون ويتسابقون على صعود التراب واللف حول (الدركتور) والقاء الحجارة الصغيرة في الخندق الندي الذى احتقن الماء في بعض جوانبه .. وفجأة علا صراخ الصبية ...

ـ عنزه سقطت في الخندق .. !

ـ أين .. ؟

وأشار صبى الي الماء المحتقن في الخندق حيث كانت بعض الدوائر والفقاعات تطفو على السطح ولم يشاهد المجتمعون شيئا يؤكد صدق الصبى الذى راح يردد ان عنزه صغيرة سقطت في الماء فعادوا للتفرق والجرى . بينما بقي الصبي الذي شاهد العنزة يتأمل سطح الماء ومر الوقت وهو واقف وحل الظلام فغادر مكانه . بزغ القمر اذ كانت هذه الليلة من ليالى منتصف الشهر ولا شيء في الشارع سوى الخندق العميق الممتد على طول الطريق وأكوام التراب المزروعة على الجانبين «والدركتور» على رأس الخندق في صمت وقوة كقائد فرقة صمم على الاستمرار والمضى قدما . وخرج « محمد » من الدار حيث سمع صوتا في الشارع ولكن لا أحد هناك . وأطلت « بدرية » برأسها من نافذة غرفتها ثم اختفت بسرعة فقفل عائدا الى مقعده أمام التلفزيون .

ـ من هناك .. ؟

ـ لا أحد ...

ـ ولكن لماذا نهضت من مكانك .. ؟

ـ لقد سمعت جلبة في الشارع ...

لم يستمر الحديث طويلا ونهضت « منى » من مكانها ودخلت المطبخ لاعداد فنجان من القهوة . تململت في اعداده حيث حاولت دفعه على مساعدتها في استذكار دروسها خاصة وان الاختبار لم يتبقى عليه سوى يومين فقط .

عاد الضجيج الى الشارع مجددا فقد أخذ عمال الحفر يعملون بهمة ونشاط وأخذ (الدركتور) يكمل مسيرته نحو اكمال شق الشارع بينما البنات والاولاد وهم في طريقهم الى مدارسهم يتوقفون قليلا لتأمل ما يدور ثم يواصلون سيرهم . يوم جديد من العمل عليه افاق « محمد » على غير العادة وخرج لاخذ الفطور . كل شيء عادي انها الحركة التي بدأت منذ الشهر نفس العمال ونفس العمل الدائب « والدركتور » الذي يجرح الارض . والاطفال الواقفون على أبواب المنازل لمتابعة العمل والفكرة التي أخذت تترسب في الاعماق عن القوة .. قوة الاقزام الذين يقفون حول « الدركتور » كل يوم متأملين ما تقوم به هذه الالة من عمل جبار غير مبالية بما حولها والتي لم تصل الى شيء رغم المحاولات التي أقلقت راحته حتى انه أخذ يقفل الباب بالمفتاح خشية أن يصيب طفلته مكروه عند ذهابه الى العمل في الصباح .

عاد المتفرجون للتكوم ومتابعة « الدركتور » في غدوه وايابه اذا أغلقت المدارس والدوائر الحكومية أبوابها وجلس أصحاب المنازل المظنة على المشروع يقفون في نوافذ منازلهم وعلى الابواب بعد أن نزعهم الضجيج من الفراش ولحظة القيلولة .. وارتفع صوت الصبي ...

ـ هذه العنزة .. هذه العنزة ..

وأسرع الجميع اليه لقد كان صبي البارحة الذي شاهد سقوط العنزة في الخندق وأخذوا يتأملون الرأس الصغير الذي طفى فوق سطح الماء ...

●●●

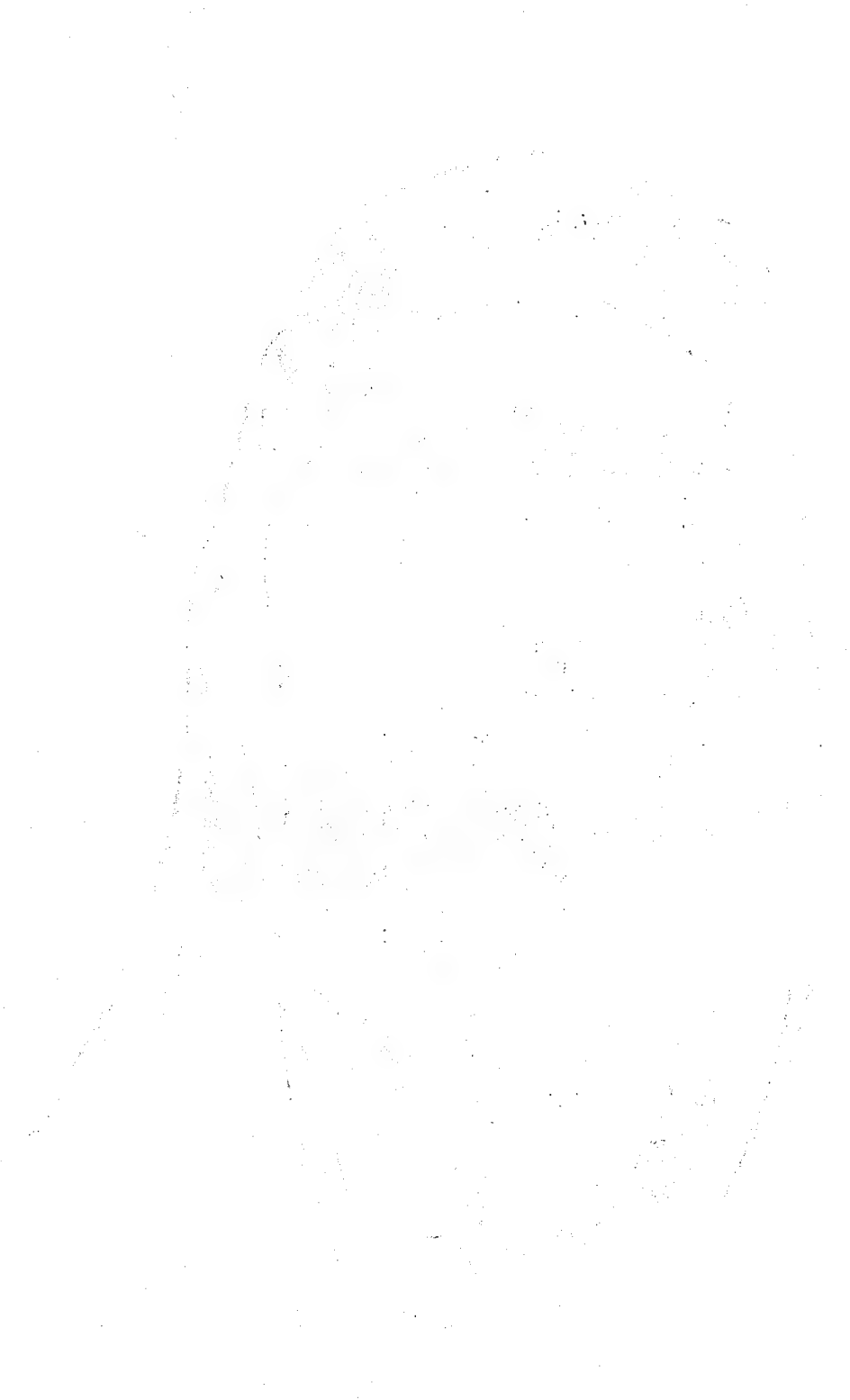

عين من دم

(جرحنا صار أوسمة) وفجـــأة ينغرز الخنجر المتسلل من الشباك فى ظهر الام البائسة التى سحبها القـدر بطريقة عفوية لتنام فى فراش زوجها المهدد بالموت ٠

وأنسى كل شىء ويد صديقى تهزكتفى ٠٠

ـ شوف كيف المجرم قتل أم شلبى

وانا عندك بين عينيك التى أجهل الان لونها ٠ وجسمك الاصفر الناحل وغرتك الشقية تثـير هواجسى ٠ لم أكن أعرف شيئا بعـــد ٠ أعيش على كتاب المدرسة أتغذى وأفطر به وطرف المسطرة ينصلت فى قسوة على قفـــا يدى ٠ لانى لم أحل الحســـاب ولم أحفظ جدول الضرب ٠ لانى سهرت بين عينيك ويدك الصغيرة حركاتها ٠٠ تجذبنى وانت تتحـــدين على الكيرم حماتك نايلة ٠٠

أنا الان قد تعديت العشرين شاربى يقف عليه الصقر وذقنى شـائكة ٠ أما صوتى فما زال هو ٠٠ هـــو لم يتغير ٠٠ غير انى زدت تحولا ولم أعد ذلك الولد الذى يرتدى الاسمال فلايؤثر فيه منظرك المغـــرى ٠ وانت تتناولين فطورك المتأخـر فى غرفتك وقد تبعثر شعرك وضاعت الخصلـة الشقية ٠ أو وأنت تمزحين مع ؟!٠٠ وتصارعين شقيقاته ٠ كل هذا عاد الى مخيلتى الليلة ٠ كنا ثلاثة انت ٠٠ وفاتن ٠٠ وأنا ٠ نسـير فى الطريق المظلم الذى يوصل الى دار أخيك وقد أزحت ـ الحجاب ـ عن وجهك وتعلقتى بكتفى كعجوز أكلت ظهرها السنين ٠ وفاتن تقهقه وهى تتلفت حذرة من أن يلحق بنا أحد ٠ وانت متمادية فى تمثيلك لاهية عن كل شىء حتى عن ذاتك تفكرين فى ذلك العهد البعيـد الذى لم تحفظى عهـدك معه ٠ ورغم دموعك لبست ثوب الزفاف الابيض والجميع يظنونها دموع الفرح ٠

انه هنا وصل اليوم الى الطائف فى مهمة رسمية والليلة حفل عشـاء يقيمه أخوك على شرفه وأنت مرتبكة تأخرت حتى لا يشعر أحد بارتباكك ٠ فأثرتى حيرتى ٠ وخوف فاتن من أن يطل أخيها فيثيره منظرنا المريب ولم تتبقى غير خطوات حتى عدتى للحقيقة لكن كان فيك شيىء جديد انت مصفرة

وقد فضح ذلك عامود النور بينمـــا فاتن ملتهية فى اعادة حجابهـــا ·· وتصلبت نظراتى عليك تسألك هل أنت محمومة ؟ وهزك اكتشافى ذلك · ولم أقل شيئا وعدنا لواقعنـــا كان صوت العـــود الذى يداعب أوتاره أخيك يصل الى الشارع كتواشـــيح ملائكة وتوقفنا كى نغترف من اللحن الهادىء فى وحدتنا وانطلاقنا وأيدينا متشابكة نحن الثلاثة مكونين حلقـــة عجيبة وســمعنا وقع أقدام تقترب من الباب فتركنا بعض لاقرع الباب وابتلعنا المسكن انتم الى الغـــرف الداخلية وأنا الى المجلس الخـــاص بالرجال ··

وفجأة ينغرز الخنجـــر وتنطلق سيارة شحن مسرعـة تدفعنى الى أن التصق بجارى من الخوف واصواتكم تصلنا لقد كانت بينكم واحدة خائفة من السيارة المسرعة لست وحيـــدا فأخذت أضحك من حولى · من طفولتى التى أخذت أودعها · ويدى فى حضن الشقية التى كل صباح تضرب شقيقتى عندما تلتقى بها على طريق المدرسة ـ تلك اللاجئة الشقراء ـ التى يطـــير فستانها القصير الهواء فيظهر قفـاها وسروالها الصغير كانت تغض كتفى فى عفرته وطفولة ··

كنت انساها عندما أراك منتصبة أمامى وفى يديك الحبـوب العشرين ولوحة الخشب المركونة على الجـدار تنتظرنا · ونتحدى فاتن واللاجئـــة لكن الاخيرة تقرصنى فى فخذى بقسوة كلما يأتى دورى فى اللعب · وأقاوم وأنا أرى بحرى يتلاطم والزوابع تثير صفوه تهم بأن تبتلع زورقى الصغير لكن نفوز ليس كالعادة بتفوق انمـا بعد محاولة يائســة ويدى ترتعش · وأنا اتطلع الى اللاجئة بعين ذاويه فاذابها تغلى وقطرات الدم فى عينيها ·· تخضب يدى باللون القانى وبكاء مرونشيج يقطع صدرى يلون وجه اختى الصغيرة وهى ترجـــو والدتى بأن لا تدعها تذهب الى المدرسة مرة ثانية ·· انه انت وقد ذهبت فاتن مـــع زوجها بعد أن يئست من أخى · ونحن غيرنا دارنا القديمة بمنزل بعيـــد ·واللاجئة أصبحت ترتدى العباءة وهى تسير لوحدها فى طريقنا القـــديم ·وزوجك باع منزله · وأخيك سافر الى جده بعد أن نجح فى دنيا الغناء فغدامرموقا · وأولاد حينا أصبحوا رجالا يلاحقون بنات المـــدارس ·· تمرين الان بى وبين ضجيج صالة الســينما

والخان الذى يدفعنى الى السعال ـ فى منامتك الحمراء ـ والسيارة ما زالت منطلقة والبطل يطرد من البوليس وأم شلبى تخرج من المستشفى · تتقدمين نحوى وفى يدك خنجر وافغر فمى فى بلاهة ويدك ترتفع وعينيك تقدح شرار الجريمة · وغيمة حمراء تمر بى فلا اشاهد شيئا لكن بريقا يلفت انتباهى عند قدمى انه الخنجر ويدك ما زالت مرتفعة وعينيك متحجرة وقد فقدت لونها وجسمك الصغير تبتلعه الارض ·· وعينان من دم ·· أمامى فتاة شقراء شعثاء الشعر ·· وفستان قصير يلعب به الهواء ·· ووجه صامت انى أعرفه لكن لا تسعفنى الذاكرة فقد تملكنى الوهم والخوف ·

●●●

الطموح

الحطام يملأ المكان . أخشـــاب مبعثرة وبراويز صور محطمة . وعلب صفيح فارغة أو محشـــوة بأوراق الصحف والمجلات . كل شيء يدل على أن هذه الحـــالة لها تاريخ طويل لا يستطيع المتعمق من الزائرين تحديده أو الاقتراب منه حتى سليمان ذاته لا يذكر متى اشترى هذه الدار الخربة أو متى قرر السكنى فيهـــا وان كان يحتفظ بأوراق ايصالات الكهـــرباء وانذارات البلدية بشأن البالوعـــة وشيء اخر أوراق اشـــتراك التليفون الجـــديد .

كان ســـليمان يقدم الدوسيه التي تحتوى كل هذا لكل سائل عن تاريخ شرائه للدار وذات يوم وعلى غـــير العادة وقفت سيارة نقل صغيرة أمام باب الدار وحملها مجموعة من العمال بالحطام الذى يملأ المكان ولم يكف رد واحد بل ثان وثالث ورابع حتى ظهر بلاط الغرف وتراب الحوش ولم يبق سوى الفراش الذى ينام عليـــه وجهاز التليفون ودوسيه الايصالات .

ركب بالقرب من الســـائق وفى الحراج تم تكويم الجميع وبيعهم وعاد يصفق بيديه يتلفت حـــوله وان كان الغبار يلفه وفى هدوء دخـــل الدار ووقف أمام المراة القديمة المزروعـــة فوق المغسلة بالقرب من باب الحمام وتأمل نفسه قليلا ثم فتح أصنبور وأخذ فى غسل وجهه وقدميه ورأسه وحدق مرة أخرى فى المراة ثم هـــز رأسه غير مقتنع ودخل الحمـــام ثم خرج منه ووضع غترته على كتفه وخرج من الدار لا يلوى على شيء .

لقد قرر أن يستحم فى الحمـــام العمومى ومر على السوق وأخذ ملابس جديدة .. خرج من الحمام شخصيـــة جديدة فشعر بالارتياح وهمهم وهـــو يتلفت ..

ـ لقد أزف الوقت ..

وفى اتجاه سيره خلف الدار وراءه وأسرع فى خطاه . كان فى كل لحظة يتأمل معصمه رغم أنه لا يقتنى ساعة ولم يفكر فى ذلك يوما حتى بعد أن أصبح وحيدا . بعد أن نزح الى المدينة مخلفا رفاقه فى العمل بقريتهم التى جمعتهم الصدف بها من أول يوم لهم فى أعمال الوظيفة لم يبال برجائهم ولم يهتم لضحكهم عليه كان كل شيء يسير حسب مخطط رسمه فى رأسه

وأخذ يرحب بكل عمل يوكل اليه فيأوقات الفراغ حتى اشترى الدار واحتلت كل تفكيره فلم يعد لديه متسع من الوقت يقضيه خارجها وأخذ يأتى بكل شيء يعترض طريقه كان كثير التلفت ـ عله يصادف شيئا يستفاد منه واحتلت الخردة كل زوايا الدار التى أصبحت نظيفة الان ..

أخذ يتأمل صورته فى واجهات المحلات التجارية ودلف الى شارع فرعى وأخذ يعد الابواب واحد .. اثنين .. ثلاثة وعاد من جديد يعد لقد نسى رقم الباب المطلوب فلم يجدبدا من الوقوف فى وسط الشارع والمناداة وخرج أحدهم ..

ـ مساء الخير العم محمد فيه ..؟

ـ أى محمد ..؟

ـ محمد أبو شوادى ..

ـ آسف ما فيه أحد فى الزقاق بهذا الاسم ..

ـ ولكن هذا هو الوصل ..

ـ لقد تذكرت كان عندنا واحد بهذا الاسم لكن رحل ..

ـ من قريب ؟

ـ منذ سنة .

وأغلق الرجل الباب بينما وقف سليمان مطرقا وأخذ يجرجر خطاه بعد أن ألقى نظرة سريعة على الابواب(ولكن كيف لقد اجتمعنا وعقدنا الاتفاق وانتهى كل شيء انزوج ابنته ونسكن معا فى الدار .. مهر رمزى) وعاد أدراجه الى الشارع وقرع الباب الاول والثانى والثالث ولكن لا أحد يرد .

لقد انهار كل شيء . ولمح شخصا يسير أمامه قفز له قلبه (انه هو) فمد خطاه . كان الرجل يسير بسرعة وبشكل غريب وانقطعت أنفاسه وفى النفس الاخير أمسك بالرجل من الخلف وتشبث به حتى لا يقع . والتفت الرجل وفوجيء سليمان لقد كان الوجه غريبا وصارما فذابت قبضته ..

النجوم تقدم العزاء

الانوار تملأ الشارع والجـــدران والنوافذ المشرعة تغص بالاطفـــال والنساء يتفرجن على العرضه • الكل يرقص والطبول تصم الاذان والسيارات تملا الساحة • ويمر الليل سريعـــا ويزف عبد الله فى كوشـــه لفتت الانتباه بوجاهتها وغناها كان الارتباك على محياه والقلق يدب فى أوصـــاله ولا شيء يعمل فى داخله • لقد شله ما يدور حوله جلس على كرسى النصه وأخذت الراقصات يتبارين فى الابداع كل فتاة تحاول أن تقضى أطول وقت ممكن للتثنى أمام العريس •

ورغم ذلك لا أذكر تلك الوجـــوه الان أجل لقد أخذت بيـــد عروسى وخرجنا والزغاريد تلاحقنا حتى فى السيارة التى نقلتنا الى منزل الزوجية كانت تزغرد هى والسيارات التى تلاحقنا • وران الهدوء شـــعرت بالاطمئنان فأخـــذت مريم بين يدى أتأملها لقد كانت رفيقة طفـــولتى ومرحلة صباى وانتقلنا الى العاصمة أما هى فقد بقيت مع أسرتهـــا فى الطائف • أجل كل شيء فيها كان كما أذكر الان تأكـدت رغم اننى التقيت بها كثيرا أيام الخطوبة التى قـــررنا فيها كل شيء •

حدث عبد الله أصدقاءه عن زواجه وزوجته وأسرتها وكيف سارت الامور وكيف قضى الليلة الاولى كان حديثـه يثير الانتباه رغم أن مقصده يظهـــر مقدار غنى والده الذى تكفل بكل شيء فى الزواج هدية منه لابنه المحبـوب الذى لا يريد منه ســـوى أن يكون مســـاعده فى ادارة الشركة بدلا من التجوال فى أزقة وشوارع المدينـــة مع أصدقاء السوء وقضاء الوقت فى أشياء لا تفيد •

لم يخيب رجاء أبيه وان كان يختلس بعض الوقت لزيارة أصدقائه مدعيـا ايصال زوجته الى المدرسة حيث أنها قررت مواصلة الدراسة •

ـ اينك يا شيخ •• لك زمان ماشفناك ••؟

ـ ابدا الاهل تعبانين ••

ـ خير ••

ـ الوالدة فى المستشفى وزوجتى تم اجهاضها ·· لقد فوجئنا بحملها ولرغبتنا فى أن نعيش فى سعادة قبل دوشة الاولاد وحتى تكمل دراستها قررنا الاجهاض ·

ـ ···

ـ الموضوع ·· سعادتنا وهروبنا من المشاكل التى قد ترتبت على ذلك ولم يقل شيئا جديدا · مرت السنين تغير فيها كثيرا أصبح حريصا على العمل وان يقوم بما هو مطلوب منه · دفن نفسه فى أعمال الشركة هنا وهناك بعد أن الت اليه والى شقيقه أنه يريد ولدا ، ترسبت هذه الفكرة فى أعماقه حتى الهوس أما زوجته فلم يعد لديها شيئا تعطيه رغم كل التحاليل التى تفيد بأنهما قابلان للانجاب ·

وقرر المغامرة بالزواج مرة ثانية الذى أغضب مريم فعادت الى دار والدها منتظرة ما يطرأ وفشل كل شىء لم تنجب الزوجة الثانية والثالثة والرابعة ·

فعاد عبد الله الى أصدقائه يبحث معهم عن من يدله الى الطريق الحقيقى والتقى بها فى احدى الشركات جميلة كانت تقف أمام باب احد المطاعم التى ولجها مع بعض رفاقه مع شلة من زملائها وزميلاتها طيعة ولينة سرعان ما غدت صديقة تواسيه فى مصابه وتنمى أحلامه ·

وطلب يدها ولكن ردته مدعية أنها متزوجة وزوجها يعمل فى المكتب الرئيسى للشركة ·

ـ عبد الله ·· اننى حامل ·· ـ ماذا ··

باحت بالسر الخطير وهى تهم بمغادرة السيارة بعد جولة طويلة استغرقت كل ما لديهم من حديث ·

ـ سوف أطلب أجازة ·· حتى أعود الى البلاد واضع ··

ـ وأنا ··

ـ ماذا هناك لا شىء ·· لقد كانت لحظات سعيدة هى التى قضيتها معك وغابت عن أنظاره مدة عادت بعدها الى العمل فى شركتها وأهملت الاتصال به وأخذت تتجاهل استفساره عنها ·

ـ أين ولدك ..؟

ـ لقد اجهضت .. ومع ذلك ..

ـ مع ذلك .. ماذا ..

ـ وصل الامر الى زوجي فطلقني .

وشدها بقوة . أخذ بتأمل عينيهابشيء من الخوف والامل كان في داخله أكثر من سؤال .

ـ هل تتزوجيني ..

وأطرقت قليلا ثم تأملته برهة ..

ـ دعني أفكر ..

تزوج عبد الله فاطمة لم يكن يدري انها تخدعه وطال انتظاره للمولد وشعر بالسأم الذي بدى أثره واضحا على محياه وعلى تصرفاته فقرر أخذ أجازة طويلة من أعمال الشركة والرحيل الى خارج البلاد لعله يجد ما ينقذه من همومه وأخذها معه .

ـ لقد كانت ملعونة .. كانت تسرقني ..

ـ وكيف ..

ـ لقد خدعتني كانت كاذبة لم تكن متزوجة .. ولم تحمل مني أبدا لقد اكتشفت هذا عندما قررنا العودة .. كانت تطالبني بالبقاء خارج البلاد ولم أجد بدا من تطليقها .. ولكن أخذت مني تعويضا ضخما أمن لها حياتها وفي الطائرة وانا افتش حقيبة الاوراق وجدت رسالة منها اخبرتني فيها بكل شيء وانها عملت كل هذا لصالحي ..

ـ والان ..

ـ قررت الاستسلام للواقع والعودة الى .. مريم

وخرج من دار صديقه متأخرا كالعادة بعد أن أفرغ ما في جعبته من أقوال وانطلق بسيارته يسابق متجها الى الصحراء كانت السماء صافية والنجوم تتلألأ رغم انها ليلة شتاء قارس بينما الراديو ينقل أغنية جديدة

اللعبة الأخيرة

الطريق طويل اكتشف محمد هذااليوم وهو يقطع شارع الملك المسفلت وهو فى طريقه الى مقر عمـــله فى الساعة الثامنة صباحا كل شىء حوله ساكن رغم حرارة شـــمس الصيف التى تلذع ظهره بأشعتها .

منذ سبع سنوات وهو يقطع هذاالطريق على قدميه لم يحاول أن يختار غيره أو يحيد عنه . وكالعـادة كانت أفكاره تدور فيما حوله متأملا السماء والارض الفراغ التى تحيط به وأشباح المارة والسيارات التى تمر به أشياء كثيرة لا يدرى متى بدأ يفكر بها لكنها كانت حقيقية فى احاسيسه وامنياته كانت أعمق منه جذورا واصل منبتاأما هو ذاته فكان لا يدرى شيئا واذا أعيته الحيل هز كتفيه ثم تلفت حوله وقطع أفكاره بمد خطاه ومحاولتـــه سابقة من حوله من بشر وسيارات وتأمله باصرار للنوافذ والابواب التى حولـــه .

يوم شبيه بالايام الاخرى وصـل فيه الى مكتبه ووقع فى دفتر الحضور ثم جلس خلف مكتبه الخـــاوى من الاوراق يتأمل فنجان الشـــاى الذى وضعه الفراش أمامه بشىء من الهدوء والتأمل محاولا ان يفلسف وجود هذا الفنجان أمامه وأعيته الكلمات فمـــد يده اليه وارتشف رشفة صغيرة وصل صداها الى أعماق أعماقه .. أعـــاد الفنجان الى مكانه وأخـــذ يبحث فى أدراج مكتبه عن علبة دبابيس لقـد تذكر الان ان أحد اصدقائه طلب منه سرقة علبة دبابيس من المكتب لحاجته اليهـــا .

سرت ابتسامة صغيرة على محيـــا محمد وهو يتذكر علبة الدبابيس قطع عليه ابتسامته الفراش الذى ما أن لمح فنجان الشاى فارغا على المكتب حتى انتصب فجأة بكل قسوة وأخذ يسكب الشـــاى من الابريق دون أن ينبس بكلمـــة .

ـ انه يريد علبة دبابيس .. أجل يريد علبة لكن من أين ؟ ولا يوجـد فى المكتب كله سوى نصف علبه ..

توقف عند هذه الكلمات وأخـــذ ينصت للحديث الدائر بين زميله فى المكتب والمراجعين رغم انه لا يستطيع شيئا ويحب الاخذ والعطاء معهم وتوثيق

عرى الصداقة . كانت الصداقة هي كل شيء يفتقده هذا الموظف . وصل الى هذه النتيجة وقرر أن يقول شيئا لكن الحديث انتهى وعاد الصمت فران على المكتب من جديد .

ـ محمد .. العب ..

ـ ولكن .. لماذا لم تنزل انت ورقتك ..

ـ ما فيه مانع ..

ـ بلى حتى أعرف هل دقيت بالحكم أم .. لا ..؟

وسرح مع لعبة البلوت . أجل كل يوم يلعب لكن أمس كان يوما جهنمي كل شيء فيه مثير حتى اللاعبين كانوا جهنميون لا شيء أمامهم غير التحدى والفوز وليكن ما يكون .

فهد يمد يده في كل مرة نحو الورق للعبث به وجمع الاكك والعشرات ان كان التوزيع عنده أو عند غيره غير مبالى بما في ذلك من اثر سيء لقد كان محمد يغلى معها فلم يعرف كيف يلعب وانقلب مرة أخرى .

ـ أبى .. أمى تبغاك ..

ـ مانى فاضى .. روح خذ العشا .

ـ لقد شبت النار ..

ـ اذن روح وأنا الحق بك ..

كان هذا رد فهد الاخير على الطفل الذى سمع الكلام وخرج من المجلس وتأمل الجالسين فهد الذى انتهى دوره وأخذ يتفرج على اللعب ..

ـ أبى .. أمى تبغاك .

عاد الطفل من جديد يرجو أباه أن أن يحضر وطرده فهد غير مبال برجاء الجالسين أن يذهب لتحرى الامر ثم يعود علل ذلك بأشياء تافهة لم يجد من حوله معها سوى الصمت وترك الامور تسير على عواهنها .

هدأ التحدى وارتسمت الابتسامة على محيا محمد الذى أخذ يلعب في هدوء للتسلية كما كان يقول الجميع عند زيارتهم له وقضاء الوقت في لعب الورق في منزله لا شيء يحدوه من وراء ذلك غير الترفيه عن النفس وملء الفراغ الذى يعيشه بعد أن سئم التجوال في الشوارع والجلوس في المقاهي . وطلق القراءة الذى أخذ يشعر بثقلها وزهقه منها بسبب

اقتناعه بأنه لا يوجد فى المكتبة مايقرأ.وصل الى أسماع اللاعبين صـــوت موسيقى انه موعد أخبار الســـاعةالتاسعة والنصف.التى اعتاد التلفزيون تقديمها فأخذوا فى التململ وقـــدأوشكت الجولة على النهـاية وما أن بدأ المذيع يقدم الاخبـار حتى نهض.أول اللاعبين مســـتأذنا ولحق به الاخرون ..

ـ ولكن يا جماعة اللعبة الاخيرة ..

ـ خلاص راح الوقت ..

وخرج الجميع من المنزل ووقفـوا.أمام الباب يمزحون متخذين من.نتيجة اللعبة تعليقا فكها على المغلوبين .

ومن خلال العتمة أقبل الطفـــل.الصغير فأخذ يتأمل الوجوه حتى عرف أباه وأمسك به ..

ـ أبى . أبى ... أمى ماتت ..

ـ ماذا .. ؟

صرخ الجميـع . وأسرع فهد الى.داره بينما تبعه الاخرون بأنظـارهم دهشين ولم يلحق الطفل بأبيه الذى.أخذ يعدو وغاب لحظات ثم عاد لاهثا.

ـ لقد عاد لها النزيف .. واغمى.عليها .

وأسرع الى الطريق العام يبحث عن.سيارة أجرة وعاد يركض والسـيارة تسير الهوينا خلفه وخرج من الدار.يحمل بين ذراعيه أمرأة متكومة ..

ـ مجنون ..

ـ أجل مجنون لعب .! ونحن زودنا.جنانه ..!

وتفرق الجميع بينما بقى محمـــدلوحده أمام باب الدار يتأمل السماء وقد ران الصمت حوله الا من عـواء.بعض الكلاب القادمة من بعيد أخـــذ يقرع اذنه كانت لحظة تأمل . وجدمعها فى الصباح أن الطريق الذى أخذ يجتازه منذ سبع سنوات طـــويل.ومرهق ..

فهرست

الصفحة

المنحوسة وتذكرة سفر الى الاقدس ... ٧
الأخوات الثلاث ... ١١
انه ولد ... ١٧
نوره ... ٢١
الهندية ... ٢٥
أوراق من مذكرات فتاة فلسطينية ... ٣٣
المرسوم ... ٣٩
حلم ... ٤٣
وارتفع الصخب ... ٤٥
الحنين واللحظات المفاجئة ... ٤٩
المفترق العاق ... ٥١
عندما فات الوقت ... ٥٥
ذات يوم ... ٥٩
نقطة اليأس ... ٦٥
البحث عن ابتسامة ... ٦٩
الأقزام تنتحر ... ٧٧
عين من دم ... ٨١
الطموح ... ٨٥
النجوم تقدم العزاء ... ٨٧
اللعبة الأخيرة ... ٩١